PAPER DETAILS

TITLE: ?????? ??????? ?? ????? ??????? ??? ??? ??? ?????? ????????

AUTHORS: Muhammed NEJJAR

PAGES: 1209-1239

ORIGINAL PDF URL: https://dergipark.org.tr/tr/download/article-file/437753

التطور البلاغي من العصر الجاهلي حتى عصر عبد القاهر الجُرجاني

CAHİLİYE DÖNEMİNDEN ABDÜLKAHİR EL-CÜRCANİ'YE KADAR BELAGATIN GELİŞİMİ

DEVELOPMENT OF RHETORIC FROM THE ERA OF IGNORANCE TO ʿABD AL-QĀHIR AL-JURJĀNĪ

MUHAMMED ELNECER

DR. ÖĞR. GÖR., GAZİANTEP ÜNİVERSİTESİ, İLAHİYAT FAKÜLTESİ, ARAP DİLİ VE BELAGATI ANABİLİM DALI.

LECTURER, GAZIANTEP UNIVERSITY, FACULTY OF THEOLOGY, DEPARTMENT OF ARABIC LANGUAGE AND RHETORIC.

drmonajjar@gmail.com

https://orcid.org/0000-0001-7547-6079

http://dx.doi.org/10.46353/k7auifd.403572

Makale Bilgisi / Article Information

Makale Türü / Article Types
Araştırma Makalesi / Research Article

Geliş Tarihi / Received
9 Mart / March 2018

Kabul Tarihi / Accepted
21 Aralık / December 2020

Yayın Tarihi / Published
Aralık / December 2020

Yayın Sezonu / Pub Date Season
Aralık / December

Atıf / Cite as
ELNecer, Muhammed, "التطور البلاغي من العصر الجاهلي حتى عصر عبد القاهر الجُرجاني [Development of Rhetoric from the Era of Ignorance to ʿAbd al-Qāhir al-Jurjānī]". Kilis 7 Aralık Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi - Journal of the Faculty of Theology 7/2 (Aralık/December 2020): 1209-1242.

İntihal / Plagiarism: Bu makale, en az iki hakem tarafından incelendi ve intihal içermediği teyit edildi. / This article has been reviewed by at least two referees and scanned via a plagiarism software.

Copyright © Published by Kilis 7 Aralık Üniversitesi, İlahiyat Fakültesi - Kilis 7 Aralık University, Faculty of Theology, Kilis, 79000 Turkey. All rights reserved.
For Permissions

ilahiyatdergisi@kilis.edu.tr

SCREENED BY iThenticate Professional Plagiarism Prevention

التطور البلاغي من العصر الجاهلي حتى عصر عبد القاهر الجُرجاني

ملخص.
هدفتْ هذه الدراسة إلى تقديم إطلالة عامة عن تاريخ البلاغة وتطورها عبر العصور حتى عصر عبد القاهر الجرجاني، وبمعنى آخر «البلاغة قبل التدوين وبعده»، وهدفتْ الدراسة أيضاً إلى تكوين فكرة عامة عن المسيرة البلاغية في عصورها المختلفة، وذلك بغية تسليط الضوء على تلك الأوابد التي استند إليها البلاغيون في تقعيد قواعدها. فالمتتبع لتاريخ تطور البلاغة من العصر الجاهلي حتى تقعيدها في فنونها الثلاثة سيَتميز له جهد العلماء المتأخرين وتعبهم في تتبع آثار السلف عبر عصورهم المتلاحقة، وسيجد أن البلاغة مرت في مراحل ثلاث: التذوق أولاً، والنقد ثانياً، ثم التقعيد البلاغي ثالثاً. فالقواعد البلاغية استنسخت من رحم النقد الأدبي.
وتتجلى أهمية البحث في دواعيه ونتائجه، ففي خضم العمل التدريسي في شتى المراحل الثانوية والجامعية والدراسات العليا لوحظ ثمة ضعف شديد لدى معظم الطلبة في البلاغة التذوقية، ناهيك عن النقدية وسط بعض الأصوات المطالبة بإهمال البلاغة، والتركيز على الصورة الفنية الكلية فحسب. أو ادعاء أن البلاغة ليست عربية الجذور، بل هي مأخوذة عن الحضارات الأخرى، أو الدعوة إلى تحديث علوم البلاغة عبر مصطلحات الحداثة وفقاً لمنهج الغرب، فكان البحث تسليطاً على جهود علمائنا عبر العصور لبيان التطور البلاغي تأصيلاً، وتذوقاً، ونقداً. وأكد البحث على إعمال الفكر في النصوص الأدبية الشعرية والنثرية التي كان الملهمة للبلاغة بنوعيها التذوقية والفلسفية.

خلاصة

هدفتْ هذه الدراسة إلى تقديم إطلالة عامة عن تاريخ البلاغة وتطورها عبر العصور حتى عصر عبد القاهر الجرجاني، وبمعنى آخر «البلاغة قبل التدوين وبعده»، وهدفتْ الدراسة أيضاً إلى تكوين فكرة عامة عن المسيرة البلاغية في عصورها المتلاحقة، وذلك بغية تسليط الضوء على تلك الأوابد التي استند إليها البلاغيون في تقعيد قواعدها. فالمتتبع لتاريخ تطور البلاغة من العصر الجاهلي حتى تقعيدها في فنونها الثلاثة سيَتميز جهد العلماء المتأخرين وتعبهم في تتبع آثار السلف عبر عصورهم المتلاحقة، وسيجد أن البلاغة مرت في مراحل ثلاث. التذوق أولاً، والنقد ثانياً، ثم التقعيد البلاغي ثالثاً. فالقواعد البلاغية استنسخت من رحم النقد الأدبي.
وتتجلى أهمية البحث في دواعيه ونتائجه، ففي خضم العمل التدريسي في شتى المراحل الثانوية والجامعية والدراسات العليا لوحظ ثمة ضعف شديد لدى معظم الطلبة في البلاغة التذوقية، ناهيك عن النقدية وسط بعض الأصوات المطالبة بإهمال البلاغة، والتركيز على الصورة الفنية الكلية فحسب. أو ادعاء أن البلاغة ليست عربية الجذور، بل هي مأخوذة عن الحضارات الأخرى، أو الدعوة إلى تحديث علوم البلاغة عبر مصطلحات الحداثة وفقاً لمنهج الغرب، فكان البحث تسليطاً على جهود علمائنا عبر العصور لبيان التطور البلاغي تأصيلاً، وتذوقاً، ونقداً. ثم تظهر أهمية البحث في كونه يروم تحقيق الأهداف الآتية:
أ- الوقوف على تاريخ نشأة البلاغة وتطورها عبر العصور.
ب- توظيف مبادئ العربية من نحو وصرف ولغة في تنمية الذوق الأدبي.
ت- التعرُّف على جهود العلماء في علم البلاغة ومدى مهاراتهم في استنباط الفروق بين الألفاظ والتراكيب في النظم.
ث- تنمية الحس البلاغي والنقدي لدى القارئ عبر تأمله نماذج من النصوص البلاغية.
وسيتناول البحث مراحل التطور البلاغي في العصر الجاهلي، وفي صدر الإسلام وعصر بني أمية، إذ فُطر الشعراء على الأداء البليغ، أو هدتهم إليه سلائقهم، وألفته ألسنتهم وآذانهم، وكانت أحكامهم خالية من التعليل إلا في القليل، ولا تخرج عن كونها أحكاماً ذوقية غير معتمدة على أسس بلاغية ثابتة، وعذرهم أنهم في غنى عن التحليل والأحكام النقدية لسلامة فطرتهم، وأبرز حكام الأدب في العصر الجاهلي «النابغة الذبياني». وفي عصر صدر الإسلام كانت أسواق «المرْبَد» في البصرة و»الكناسة» في الكوفة تشبه «سوق عكاظ» في الجاهلية، ومن أبرز روادها جرَير والفرزدق وذو الرمة، وليلى الأخيلية. ولقد حَفَلت كتب الأدب بنماذج تظهر مقاييس الجمال الأدبي عند العرب من انتقاء ألفاظ ومعان، فاشتهر فيهم الخطيب والشاعر، وماز بعضهم بما عرف به من تخير لفظ

وحسن نظم وإصابة معنى كالشاعر زهير بن أبي سُلمى، والحطيئة، وغيرهما. وهذه الملاحظات البيانية النقدية وغيرها لم تغب عن أذهان البلاغيين حين أصَّلوا قواعد البلاغة، وهي بحق تُعدُّ الأصول الأولى لقواعدهم.
ثم تناول البحث التطور البلاغي في زمن التدوين وأثر النقد الأدبي في نضج التطور البلاغي وازدهاره.
ولا غرو إذا قيل: إن الدراسة البلاغية نمت وترعرعت في ظلال القرآن الكريم، وأول بذورها في كتب معاني القرآن؛ لأن العلماء شعروا بواجبهم نحو كتاب ربهم، فعقدوا العزم على بيان مجازه ومعانيه وبيان غريبه ومشكله، فأضفَوا على كتاباتهم مسحة جمالية، جادت بها قرائحهم بما ملكوا من قدرات علمية لغوية وإسلامية، وفي إشارات الشافعي وأبي عبيدة والفراء وغيرهم معين ثرّ نهل منه الطبري في تفسيره، ومنه أخذ الزمخشري هذه النكت، فصاغها في مظانها بعد هضمه لنظرية النظم عند عبد القاهر.
وبعد أبي عبيدة ومن هم في طبقته اقتدى خلَفُهم بهديهم، ومشوا على منوالهم، فكان الجاحظ — ومن بعده المبرد وابن المعتز– الذي يعدّ بحق مؤسس البلاغة العربية الأول ومُعبّد الطريق أمام من أتى بعده من رجالها، قد ألمّ في كتبه بالأساليب البيانية من تشبيه واستعارة وكناية وحقيقة ومجاز، لكنه لم يوردها في تعريفات اصطلاحية، بل جاء تعريفه لها والدلالة عليها عن طريق الأمثلة والنماذج، لا عن طريق القواعد. وبالمقارنة بينه وبين من تقدموه تظهر أنه كان بلا شك أقدرهم على إدراك أسرار البلاغة، وأكثرهم اهتداء إلى شتى العناصر والأساليب البيانية التي حددت فيما بعد، وأصبحت تؤلف مباحث البلاغة وموضوعاتها، وصار الجاحظ منارة يهتدي بها علماء البلاغة في القرن الرابع والخامس كـ الآمدي، والقاضي الجُرجاني، والرماني، وأبي هلال العسكري، مروراً بابن سنان، وابن رشيق القيرواني، وانتهاء بعبد القاهر الجرجاني.
وقد خلص البحث إلى جملة من النتائج منها:
خطت البلاغة خطوات تآزرت فيما بينها من زمن إلى زمن، ومن سلف إلى خلَف، حتى وصلت إلى مرحلة النضج والاكتمال، وهي نتيجة منطقية لمراحل بدأت منذ بواكير النقد التذّوقي غير المعلل في العصر الجاهلي وصدر الإسلام، فكانت ملاحظات روعيت أثناء المحاكمات والموازنات البلاغية فيما بعد، وكل يحاول أن يبدع ويضيف شيئاً مع نقَل بعضهم من بعض، إلا أنها لم تتضح معالمها النهائية إلا على يدي عبد القاهرالجرجاني، فلا جمعت ألوان علم المعاني في تخصص معين، ولا تم الفصل بين علوم البلاغة الثلاثة ما خلا بعض الألوان التي انتُهي منها في بداية أمرها، كألوان البديع، وأضرب الخبر، والإيجاز بنوعيه.
وخلص البحث أيضاً إلى أصالة النقد الأدبي في العصر الجاهلي وما بعده، وإلى أهمية البلاغة وأثرها في تنمية الذوق النقدي، وأكد البحث على إعمال الفكر في النصوص الأدبية الشعرية والنثرية التي كان الملهمة للبلاغة بنوعيها التذوقية والفلسفية.
الكلمات المفتاحية: اللغة العربية وآدابها، بلاغة، نقد، أدب، تذوق، تطور

CAHİLİYE DÖNEMİNDEN ABDÜLKAHİR EL-CÜRCANİ'YE KADAR BELAGATIN GELİŞİMİ

Öz
Bu çalışmanın amacı, Abdulkahir el-Curcani çağına kadar, belagat ilminin tarihi ve gelişme sürecine genel bir bakış sağlamaktır. Diğer bir ifadeyle tedvinden önce ve sonra belağat ilmi denilebilir. Çalışma, aynı zamanda alimlerin beleğat ilmine dair kaideleri belirlemede dayandıkları usul ve esaslara ışık tutmak hedefiyle, belagat ilminin çeşitli dönemlerde geçirdiği süreci de konu edinmektedir.
Belagat tarihini ve gelişme dönemini incelen araştırmacı özellikle son dönem alimlerin önceki dönem bilginlerinin eserlerini inceleme konusunda ortaya koydukları gayreti görecektir.
Ayrıca belagat ilminin öncelikle zevk, sonrasında eleştiri ve daha sonra belagatı kaideleştirme olmak üzere üç merhaleden geçtiğini ve belagatın edebi eleştiri geleneğinden doğduğunu görecektir. Araştırmanın önemi, neden ve sonuçlarında kendini

göstermektedir. Ortaöğretim, lisans ve lisansüstü eğitimin çeşitli kademeleri sırasındaki derslerde edebi zevkin eksikliği ve zayıflığı fark edilmiştir.
Belagatın ihmal edilmesi ve yalnızca genel sanatsal imaja odaklanılması gerektiği iddiasında bulunan veya belagatin Arap kökenli değil de diğer medeniyetlerden alındığını iddia eden ya da batı metodolojisine uygun modern kavramlarla belâgat ilmini güncelleme çağrısında bulunan
bazı seslerin arasında bizim kendi öğrencilerimizin birçoğunun eleştiri belagatın zayıflığını saymıyorum bile.
Dolaysıyla bu çalışma bilim adamlarımızın çağlar boyunca özgünlük, edebi zevk ve eleştirel açıdan belagatın gelişimini ortaya koymak için yapmış oldukları çaba ve gayretlerini göstermek içindir. Ayrıca bu çalışma, belağatın felsefi ve zevk yönünden ortaya çıkmasına ilham kaynağı olan edebi nesir ve şiir metinleri üzerinde düşünme ve fikir yürütmenin önemini vurgulamıştır.

Özet
Bu çalışmanın amacı,Abdulkahir el-Curcani çağına kadar, belagat ilminin tarihi ve gelişme sürecine genel bir bakış sağlamaktır. Diğer bir ifadeyle tedvinden önce ve sonra belağat ilmi denilebilir.Çalışma, aynı zamanda alimlerin beleğat ilmine dair kaideleri belirlemede dayandıkları usul ve esaslara ışık tutmak hedefi ile, belagat ilminin çeşitli dönemlerde geçirdiği süreci de konu edinmektedir.
Belagat tarihini ve gelişme dönemini incelen araştırmacı özellikle son dönem alimlerin önceki dönem bilginlerinin eserlerini inceleme konusunda ortaya koydukları gayreti görecektir.
Ayrıca belagat ilminin öncelikle zevk, sonrasında eleştiri ve daha sonra belagatı kaideleştirme olmak üzere üç merhaleden geçtiğini ve belagatın edebi eleştiri geleneğinden doğduğunu görecektir.
Araştırmanın önemi, neden ve sonuçlarında kendini göstermektedir. Ortaöğretim, lisans ve lisansüstü eğitimin çeşitli kademeleri sırasındaki derslerde edebi zevkin eksikliği ve zayıflığı fark edilmiştir.
Belagatın ihmal edilmesi ve yalnızca genel sanatsal imaja odaklanılması gerektiği iddiasında bulunan veya belagatin Arap kökenli değil de diğer medeniyetlerden alındığını iddia eden ya da batı metodolojisine uygun modern kavramlarla belâgat ilmini güncelleme çağrısında bulunan
bazı seslerin arasında bizim kendi öğrencilerimizin birçoğunun eleştiri belagatın zayıflığını saymıyorum bile.
Dolaysıyla bu çalışma bilim adamlarımızın çağlar boyunca özgünlük, edebi zevk ve eleştirel açıdan belagatın gelişimini ortaya koymak için yapmış oldukları çaba ve gayretlerini göstermek içindir.
Araştırmanın önemi, aşağıdaki hedeflere ulaşmayı amaçlamasıyla ortaya çıkmaktadır.
•Belagatın ortaya çıkış tarihi ve çağlar boyu gelişimi üzerinde durmak.
•Edebi zevki geliştirmede Arapça gramer, biçim bilgisi ve dil ilkelerini kullanmak
•Bilim adamlarının belâgat ilmindeki çalışmalarına vakıf olarak kelimeler ve cümledeki bileşenlar arasında ki farkları ortaya koyma konusunda ne denli mahir olduklarına tanıklık etmek.
•Edebi metin örnekleri üzerinde düşünerek okuyucunun belagat ve eleştirel melekesini geliştirmek.
Çalışma şairlerin, dil ve kulaklarının aşinalığı sebebiyle doğaçlamaları neticesi çok güzel bir performans sergiledikleri ve yargılarının çoğunlukla bir illete ve sabit belagat temellere bağlı olmaksızın sırf edebi zevkin olduğu İslam öncesi çağda, İslam>ın ilk zamanlarında ve Emevi'ler dönemindeki belagat gelişme aşamalarını ele alacaktır. Doğaçlamaların sağlam olmasından herhangi bir analiz ve eleştirel yargıya ihtiyaç duymadılar, bu da onların tek kabahatidir.

Cahiliye dönemi hükümdarlarından en önde geleni "en-Nâbiga ez-Zübyânî"dir. İslam>ın ilk zamanlarında Basra'daki "el-mirbed" ve kûfe'deki "kunâse" pazarları aynen cailiyye dönemindeki Ukâz pazarına benzemekte idi. Bu pazarların en önemli öncüleri arasında Cerîr, Farazdak, zürrumme ve Leylâ el-Ahyeliyye sayılabilir. Edebiyat kitapları, Araplarda kelime ve anlamların doğru seçimlerinden neşet eden edebi güzelliğin ölçülerini gösteren örneklerle dolup taşmıştır. Onlardan bazıları hatip ve şair olarak meşhur olurken, Züheyr b. Ebî Sülma, el-Hutye ve daha başkaları gibi bazıları da kelimelerde doğru seçim, kompozisyon bütünlüğü ve doğru ifade gibi hususlarda ön plana çıkmıştır. Tabi ki bu açıklayıcı ve eleştirel notlar belâgat ilminin esaslarını belirlerken edebiyatçıların akıllarından hiç çıkmamıştır. Ve tabi haklı olarak belirledikleri kuralların ilk kökenleri olarak kabul edilir.

Daha sonra çalışma tedvin zamanındaki belagat gelişimi ve belagatın olgunluğu ve refahı gelişimin üzerinde edebi eleştiri katkısına değindi.

Belagat çalışmalarını Kur>an-ı Kerim>in gölgesinde büyüyüp yetiştiğini söylenmesi şaşırtıcı değildir. Çünkü onun ilk tohumları Kur>an Mana kitaplarındadır; zira alimler rabinin kitabına karşı hissettikleri görevleri yerine getirmek için, kitabın mecazi ifade ve anlamları açıklamaya, garip sözleri ve müşkil kelimeleri beyan etmeye azmetmişler, bundan da yazılarına, kendi sahip oldukları dilsel ve İslami meleke ile estetik bir görünüş eklediler. Bunu İmam Şafii, Ebu Ubeyde, el-Ferra ve başkaları gibi eserlerinde bitmeyen güzellik hazinesinden alan Taberi, tefsirine kazandırdı, ondan bu faydaları alan Zamahşeri, Abdulkahir>ın Nazm teorisini kavrayarak yeniden düzenledi.

Ebu Ubeyde ve çağdaşlari döneminden sonra gelen nesiller, onların belirledikleri yöntem ve metodu uyarak çalışmalarına devam ettiler, öylece el-Cahiz, (ve ondan sonra el-Müberred ve İbnü'l-Mu'tez) Arap belagatın ilk kurucusu sayılıp ondan sonra gelenlere belagatın yolunu açtı, kitaplarında da(teşbih, istiare, kinayet, hakikat ve mecaz) gibi beyan türleri derledi. Ancak onları istilahi terimleri ve kurallar çerçevesinde değil örnek ve model yoluyla işaret edip tanımlamaktadır. O, belagat sırlarını idrak etmede şüphesiz O>ndan önce gelip geçmiş belagat alimlerin en muktedir idi. Öylece Cahiz minare gibi olup dördüncü ve beşinci asırların el-Amidi, «el-Kadı» Cürcani, Rummani, Ebu Hilal el-Askeri, İbn Sinan, İbn Reşik el-Kayrevânî ve son olarak Abdulkahir el-Curcani gibi bir çok belagat alimine ışık tutmuştur.

Çalışmamızda aşağıdaki sonuçlara ulaşılmıştır.

Belagat ilmi seleften halefe ve asırdan asıra daha da güçlenip son olarak olgunlaşma ve tamamlanma seviyesine kadar ulaşmıştır.

Bu ise İslam>ın başlangıcından ve cahiliye döneminden itibaren oluşan edebi eleştiri kültürünün mantıksal bir sonucudur. Bu edebi eleştiri kültürü sonraları gerçekleştirilen muhakeme ve karşılaştırmalarda göz ardı edilmeyip riayet edilmiştir. Belagat alimleri her ne kadar birbirinden naklederek belagata benzersiz ifade ve yenilik eklese de belagat ilminin son geldiği seviyede en açık bir şekilde Abdülkahir el-Cürcâni>de ortaya çıktığı söylenebilir.

Ancak buna rağmen Meânî ilminin bazı sanatları belirli bir teori olarak oluşmamış ve bedii> ilmi, haber çeşitleri ve îcaz gibi sanatlar dışında belagatın üç türü arasında ayrım yapılmamıştır.

Araştırmada aynı zamanda cahiliye ve sonraki dönemlerde edebi eleştirinin özgünlüğü, eleştiri zevkinin kalkınmadaki etkisi sonuçlarına ulaşılmıştır. Ayrıca bu çalışma, belağatın felsefi ve zevk yönünden ortaya çıkmasına ilham kaynağı olan edebi nesir ve şiir metinleri üzerinde düşünme ve fikir yürütmenin önemini vurgulamıştır.

Anahtar Kelimeler: Arap Dili ve Edebiyatı, Belagat, Tenkit, Edeb, Zevk, Gelişim

DEVELOPMENT OF RHETORIC FROM THE ERA OF IGNORANCE TO ʿABD AL-QĀHIR AL-JURJĀNĪ

Abstract
The aim of this study is to provide a general overview of the history of rhetoric and its evolution through the ages until the age of Sheikh ʿAbd al-Qāhir al-Jurjānī, In other words, "rhetoric before and after coding it aimed to create an idea about the march of rhetoric in its successive periods, in order to shed light on those objects that were based on the scholars of rhetoric to sanctify their bases. I chose the era of al-Jurjānī for two reasons: First: His age was the age of maturity in rhetoric and he was about to show quality in the three arts with the completion of her monetary tools. The second is that I was interested in writing an independent research on the rhetorical development following his age and its impact on subsequent studies.
The follower of the history of the evolution of rhetoric from the pre-Islamic era until its advancement in the three arts will distinguish the effort of late scientists and their fatigue in tracing the advances through the successive eras. It will be found that rhetoric passed three stages. The first is the delight, and the second is the criticism, an the third is the rhetorical deviation. The rhetorical rules were copied from the womb of literary criticism. The selective approach was used in the stages of historical research.

Summary
The aim of this study is to provide a general overview of the history of rhetoric and its evolution through the ages until the age of Sheikh ʿAbd al-Qāhir al-Jurjānī, In other words, "rhetoric before and after coding it aimed to create an idea about the march of rhetoric in its successive periods, in order to shed light on those objects that were based on the scholars of rhetoric to sanctify their bases. I chose the era of al-Jurjānī for two reasons: First: His age was the age of maturity in rhetoric and he was about to show quality in the three arts with the completion of her monetary tools. The second is that I was interested in writing an independent research on the rhetorical development following his age and its impact on subsequent studies.
The follower of the history of the evolution of rhetoric from the pre-Islamic era until its advancement in the three arts will distinguish the effort of late scientists and their fatigue in tracing the advances through the successive eras. It will be found that rhetoric passed three stages. The first is the delight, and the second is the criticism, an the third is the rhetorical deviation. The rhetorical rules were copied from the womb of literary criticism. The selective approach was used in the stages of historical research.
The importance of research is manifested in its causes and consequences. Deficiency and weakness of literary delight was noticed in the courses at various levels of secondary education, undergraduate and graduate education.
We have noticed a weakness in the rhetorical influence, regardless of the critical reaction of most of our students in the midst of some voices calling out for neglecting rhetoric focusing only on the overall image of art, or claiming that rhetoric is not of Arabic roots, but had been taken from other civilizations, or demanding the modernization of rhetoric through updated terminology of the West.
So this research is to demonstrate the efforts of our scholars for ages to clarify the development of rhetoric: Its origin. How it was dealt with. And its criticism.
The importance of research is to achieve the following objectives:
A - The emergence of the history of rhetoric and its development through ages.
B - Employing the Arabic principles of grammar, morphology and language in developing literary sense.
C - Witnessing the efforts of scholars in the science of rhetoric and the extent of

their skills in deducing the differences between words and structures throughout systems.
D - Developing the reader>s rhetorical and critical sense by contemplating examples of rhetorical texts.
The study will deal with the stages of rhetoric development in the pre-Islamic era, in the early days of Islam and in the Umayyad period, when poets showed a very good performance as a result of their improvisation due to their familiarity with their language and ears, and their judgments were mostly just literary delight without being dependent on a malady and fixed rhetoric foundations. They did not need any analysis and critical judgment due to the solidity of the improvisations, which is their only fault.
The most prominent ruler of the period of Jahiliyya is «Al-Nabigha Al-Thubiani.» In the early days of Islam, al-Marbad in Basra and al-Kanasah in Kufa were similar to «Okaz Souk» in the pre-Islamic era, and one of its prominent pioneers were Jarir, Al-Farazdaq, Tha El-Rimma, and Laila al-Ahyaliya where literature books were filled with models that show the standards of literary beauty among Arabs for choosing precise words, meanings. And this way, some of them became famous as orator or poet, and some of them were distinguished by what was known to them in terms of choosing the suitable words, good organization and precise meaning like the poets:
Zuhair ibn Abi Sulma, al-Hutayah and others.
Of course, while these explanatory and critical notes determine the principles of rhetoric, it has never come out of the minds of the literary. And of course, rightly, these notes are considered to be the first origins of the rules they set.
Then the research dealt with the rhetorical development in the time of codification and the impact of literary criticism in the maturity and prosperity of rhetorical development. It is not surprising if it is said: The rhetorical study has grown and nurtured in the shadows of the Holy Qur'an, and its first seed in meaning books of the Qur'an. For, scholars determined to explain the figurative expressions and meanings of the book, to declare strange words and complicated words in order to fulfill the duties they felt towards the book of the Lord, and from this they added an aesthetic appearance to their writings with their linguistic and Islamic faculties.
Taking this from the endless treasure of beauty in his works such as Al-Shāfi'ī, Abu Ubaidah, al-Furra and others, al-Tabarī's added it to his interpretation, and Al-Zamakhsharī, who received this benefit from him, formulated it in his connotations after digesting ʿAbd al-Qāhir al-Jurjānī's theory of systems.
Subsequent generations of Abu Ubaidah and his contemporaries continued their work, following the method and method they determined, so that Al-Jāhiz (and after him Al-Mubarid and Ibn al-Mu'taz) was regarded as the first founder of Arabic eloquence and the path of eloquence to those who came after him. He also compiled types of statements in his books (simile, figures, sarcasm, truth and metaphor), but however, he describes them not in idiomatic definitions, and not through rhetorical rules, but by pointing through example and model. Rather, his definition of it and its significance came by means of examples and models, and the comparison between him and those who proceeded him shows that he was undoubtedly the most capable of them in understanding the secrets of rhetoric, and most guided by means of models to the various elements or graphic methods that were known and later were defined and started composing the topics of rhetoric, and Al-Jāhiz became a beacon for guidance for rhetoric scholars in the fourth and fifth century, like Al-Āmidi, al-Jurjānī, Al-Rumanī and Abu Hilal al-Askarī as well as Ibn Sinan and Ibn Rashiq Al-Qarawanī and finally ʿAbd al-Qāhir al-Jurjānī.
This research concluded a number of results, including:
The science of eloquence has reached the level of maturity and completion, getting

stronger from predecessor to successor and from century to century, which is a logical result of stages that began since the earliest unexplained delight criticism in the pre-Islamic era and the beginning of Islam.
Although the scholars of rhetoric have added unique expression and innovation to rhetoric by conveying them from each other, it can be said that the science of rhetoric emerged most clearly in ʿAbd al-Qāhir, Neither semantics was gathered in a specific specialization, nor the three rhetorical sciences were separated until they fell under the name al-Badiʾ, and if it was considered an opening in rhetorical research, but it was not interchangeable and insufficient.
We do not underestimate anyone>s right in this speech, for there is some ways finished before it started, and itt was attributed to their companions as many of the colors of Al-Badi>,and Al-Khabar and Al-ijaz of both types are presented.
The research also concluded that the originality of literary criticism among our ancestors in the pre-Islamic era and beyond, and to the importance of rhetoric and its impact on the development of critical delight, and the importance of thought process in literary texts, and reading Arab heritage from the depth of books, and standing at those signs that were the inspiration to rhetoric, in both gastronomic and philosophical.
These gestures need to be carefully deeply studied.

Keywords: Arabic Language and Literature, Rhetoric, Criticism, Literature, Delight, Development

المدخل :

البلاغة في اللغة مأخوذة من مادة (بلغ)، وهي أحرف أصلية ثلاثية ثابتة، تدل بمجموعها على الوصول إلى الشيء، يقال: بَلَغْتُ المكانَ، إذا وَصَلْتُ إليه. [1] وفي اللسان: رجل بَلِيغٌ وبِلْغٌ: حسَنُ الكلام فَصيحُه، يبلغ بعبارة لسانه كُنْهَ ما في قلبه.[2] ومنه جواب صُحار العبدي لما سأله سيدنا معاوية: «ما هذه البلاغة التي فيكم؟ فقال: شيءٌ تجيشُ به صدورُنا فتقذفُه على ألسنتنا. [3]

واشتقاق البلاغة من هذه المادة مشير إلى حقيقة جمالها: فهي تعبير حقيقي باللسان عن خبيء الجنان قال د. مازن المبارك:« وكأن الذي يوصل ما في نفسه من الأفكار إلى المخاطب على أتم وجه وأكمل صورة هو البليغ».[4] فلا بد من إيصال الأفكار إلى المخاطب عبر ألفاظ تعتمد على وضوح المعنى، وملاءمتها لمقتضى الحال، وبالطريقة التي تعارف عليها بلغاء العرب.

والبلاغة والفصاحة في اللغة شيء واحد ففي اللسان:« البَلاغةُ الفَصاحةُ».[5] والرجل البليغ هو الفصيح، فالإبلاغ عن كنه القلب: هو الإفصاح، ففي كل منهما إبانة عن المعنى وإظهار له.

فقبل أن تعرف البلاغة بحد موضح لها، وتضبط في قالب معين، هي تذوق جمالي يُقوّم بها أي إنتاج أدبي أو فني بما يبعثه في نفوسنا من استجابات انفعالية لا يبعثها فينا غيره، وبمعنى آخر هي وسيلة للتعبير عما في النفس صورة واضحة للوصول إلى القلب عبر أقرب طريق. ولا يستحق الكلام اسم البلاغة حتى يكون فصيحاً

---

1 وهي في تقلباتها كلها تدل على الوصول للشيء. ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة تح: عبد السلام هارون (بيروت: دار الفكر، 1979)، 1:302.

2 ابن منظور، لسان العرب،(بيروت: دار صادر، 1414) .مادة (بلغ).

3 الجاحظ، البيان والتبيين، (بيروت : دار الهلال، 1423) 1: 98.

4 المبارك، مازن. الموجز في البلاغة، (دمشق: دار الفكر، دون تاريخ)، 19.

5 ابن منظور، لسان العرب، مادة (بلغ)

في مفرداته وتراكيبه. واصطفى الجاحظ من معاني البلاغة قول بعضهم: «لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبقَ من معناه إلى قلبك». (6)

وسيتناول البحث - بإيجاز- مراحل تطور البلاغة من العصر الجاهلي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، واستخدم البحث المنهج الانتقائي في مراحل البحث التاريخي مع إيراد نماذج لتطور النقد من غير إسهاب ممل ولا إيجاز مخل. فجاء المبحث الأول: «التطور البلاغي قبل التدوين» وفيه مطلبان: المطلب الأول: التطور البلاغي في العصر الجاهلي، والمطلب الثاني: التطور البلاغي في صدر الإسلام وعصر بني أمية، وجاء المبحث الثاني: «التطور البلاغي والت دوين»، وفيه ثلاثة مطالب: المطلب الأول: البلاغة بين التأصيل والتدوين (القرن الثاني). والمطلب الثاني: *تطور التدوين البلاغي* (القرن الثالث). والمطلب الثالث: أثر النقد الأدبي في نضج التطور البلاغي وازدهاره (القرن الرابع حتى عبد القاهر الجرجاني).

1- التطور *البلاغي قبل التدوين*

1.1 التطور البلاغي في العصر الجاهلي

من المسلَّم به أن البلاغة بوصفها علماً ذا قواعد وقوانين لم تكن كذلك دفعة واحدة، بل كانت شذرات متفرقة ولؤلؤاً منثوراً هناك وهناك، التقطها الغُوَّاص حتى بدت باسقة الظلال وارفة الأفنان ممتدة الجذور في العصر الجاهلي، ومن ثمّ في العصر الإسلامي، فالبلاغة شأنها شأن العلوم الإسلامية الأخرى مرت بمراحل عدة حتى اكتمل نضجها، وأصبحت علماً مستقلاً قائماً بذاته، وقد عُرف العرب بالفصاحة والبلاغة وحسن البيان حتى بلغوا في الجاهلية درجة رفيعة فاقوا بها الأمم، وأقرّ لهم القرآن بها؛ فجاءت معجزة رسول الله من جنس ما حذقوه وتباهوا به، ورغبة الرقي بأدبهم - ولاسيما الشعر - كانت لهم نواد ومهرجانات ثلاثة في السنة: أشهرها "عكاظ " تعرض فيها أشعار الشعراء كل عام لدى حكم فيحكم بأشعرية صاحبه هذا العام أو من أشعر المتقدمين، مبيناً سبب التفضيل أحياناً؛ لأنهم في غنى عن التحليل والأحكام النقدية، وأبرز الحكام النابغة الذبياني.

وحَفَلت كتب الأدب بنماذج تظهر مقاييس الجمال الأدبي عند العرب من انتفاء ألفاظ ومعان، فاشتهر فيهم الخطيب المفوَّه المسهب والشاعرالخنذيذ المُهذب(7)، وماز بعضهم بما عرف به من انتقاء لفظ وحسن نظم وإصابة معنى، فكانت ملاحظات روعيت أثناء المحاكمات والموازنات البلاغية فيما بعد، ولعل من بواكرها أن» المتلمّس الضبعي» صاحب الصحيفة (8) وقف ذات يوم على مجلس لبني قيس بن ثعلبة، وطَرَفة بن العبد يلعب مع الغلمان، فأنشد» المتلمّس» هذا البيت:

وقد أتَناسى الهَمّ عند احْتضاره بناجٍ عليه الصَّيعريّةُ مُكْدَم

والصيعرية - فيما يزعمون - سمة توسم بها النوق دون الجَمال، فقال طرفة: استنوق الجمل فأرسلها مثلاً، فضحك القوم، فغضب المتلمّس، ونظر إلى لسان طَرَفة، وقال: ويل لهذا من هذا، يعني رأسه من لسانه.

---

6 الجاحظ، البيان والتبيين، (بيروت : دار الهلال، 1423) 113/1

7 أسهب الرجل: أكثر الكلام، فإذا أكثر الكلام في خطأ قالوا: رجل مسهب (بفتح الهاء)، وإذا أكثر وأصاب فهو مسهب (بكسر الهاء). والخِنْذِيذُ الشاعر المجيد المُنَقِّح المُفْلِقُ، والمهذب من أهذب الطائر في طيرانه، والفرس في عدوه، والمتكلم في كلامه: أسرع وتابع. ينظرابن منظور، لسان العرب (سهب، وهذب، وخنذ).

8 هو جرير بن عبد العزى، وهو أحد بني ضبيعة بن ربيعة بن نزار، شاعر جاهلي، وكان أشعر أهل زمانه، وهو خال طرفة بن العبد، وكان ينادم عمرو بن هند ملك العراق، ثم هجاه، وفر إلى الشام، ولحق بملوكها آل جفنة، ومات ببصرى الشام.

فالمتلمّس استعار صفة النوق للجمل، فلم يرها طَرَفة مقبولة، وهذه هي الاستعارة السيئة أو غير المفيدة التي ذكرها البلاغيون فيما بعد. وذكروا أيضاً أن النابغة الذبياني تضرب له قبة من أدم بسوق عكاظ، يجتمع إليه فيها الشعراء، فدخل إليه حسان بن ثابت، وعنده الأعشى، وقد أنشده شعره، وأنشدته الخنساء إحدى مراثيها: (9)

قَذىً بعينكَ أم بالعَين عُوَّارُ أم أقفرت إذ خل من أهلها الدار

فقال النابغة: لولا أن أبا بصير أنشدني قبلك، لقلت إنك أشعر الناس، أنت والله أشعر من كل ذات مثانة، فقالت: والله ومن كل ذي خصيتين. فقال حسان: أنا والله أشعر منك ومنها، قال النابغة: حيث تقول ماذا؟ قال: حيث أقول:

لنا الجَفْنَاتُ الغُرُّ يلمعنَ بالضُّحَى وأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ من نَجْدَةٍ دَمَا

ولدنا بنى العنقاءِ وابنَىْ محرّقٍ فأكرم بنا خالا وأكرم بنا ابنما

فقال النابغة: إنك لشاعر، لَوْلا أنك قللت عدد جفانك، وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك، وفي رواية أخرى أنه قال له: قلت: الجفنات فقللت العدد، ولو قلت الجفان لكان أكثر، وقلت: يلمعن في الضحى، ولو قلت: يبرقن في الدجى لكان أبلغ في المديح؛ لأن الضيف بالليل أكثر طروقاً، وقلت: يقطرن من نجدة دما، فدللت على قلة القتلى، ولو قلت: يجرين لكان أكثر؛ لانصباب الدم، وفخرت بمن ولدتْ، ولم تفخر بمن ولدك، فقام حسان منكسراً منقطعاً. (10)

ونلحظ هنا أخذاً ورداً بين النابغة وحسان، ثم إن هذا الحكم المعلل يدل على تمكنه من حكمه مستنداً إلى معنى الكلمة من حيث اصطفاؤها ونظمها بين أخواتها في سياقها التركيبي.

ولم يقتصر الأمر على الرجال، بل كان للنساء حكم في التذوق البلاغي ونقده، فهذه أم جندب زوج امرئ القيس احتكم عندها علقمة بن عبدة الفحل، وكان ينازع امرأ القيس الشعر، فقال كل واحد منهما لصاحبه: أنا أشعر منك، ورضيا بتحكيم أمّ جندب بينهما. فقالت أمّ جندب: قولا شعراً تصفان فيه الخيل على رُويّ واحد وقافية واحدة، فقال امرؤ القيس قصيدته التي أوّلها:

خَلِيلَيَّ مُرَّا بِـــي على أُمِّ جُنْدَبِ لنَقْضِيَ حاجاتِ الفُؤَادِ المُعَذَّبِ

وقال علقمة قصيدته التى أوّلها:

ذهبت من الهجران فى غير مذهب ولم يك حقّاً كلّ هذا التّجنّب

البيت. ثم أنشداها جميعاً، فقالت لامرئ القيس: علقمة أشعر منك، قال: وكيف؟ قالت: لأنّك قلت:

فللسَّوْط أُلْهُوبٌ وللساق درَّةٌ وللزَّجْرِ منه وَقْعُ أَخْرَجَ مُهْذِبِ

فجهدتّ فرسك بسوطك وزجرك، فأتبعته بساقك، وقال علقمة:

فولّى على آثارهنّ بحاصب وغيبة شؤبوب من الشّد ملهب

فأَدْرَكَهُنَّ ثانياً من عِنانه يَمُرُّ كمَرّ الرائحِ المُتَحَلِّبِ

فأدرك طريدته وهو ثانٍ من عنانه، لم يضربه بسوطه، ولم يمره بساقه، ولم يزجره، فقال لها: ما هو بأشعر منّى ولكنّك له وامق فطلّقها وخلف عليها علقمة، فسمّى «الفحل» لذلك. (11) وهناك أمثلة عدة تدل

---

9 أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني تح : سمير جابر،(بيروت: دار الفكر، دون تاريخ)، 10: 206.

10 ينظر: العسكري ، أبو أحمد الحسن بن عبد الله، المصون في الأدب، تح : عبد السلام هارون (الكويت: 1984) .ولقدامة في نقد الشعر رد أدبي ماتع على تعليل النابغة. فحواه أن رد النابغة مبني على ترك حسان الغلو؛ لأن أعذب الشعر أكذبه، وأما كلمات حسان فهي خير تطبيق للواقعية دون غلو. ينظر: نقد الشعر ص 18 طبعة إسطنبول.

11 ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، الشعر والشعراء، (القاهرة: دار الحديث، 1423)، 1:212–214.

على أن العرب في جاهليتها كانت لديهم ملكة فنية في الاختيار والنقد إن لم يتم التوافق بين اللفظ والمعنى، ومع أنها ملاحظات قيمة، ولكنها تبقى ذوقية فطرية تعتمد على السليقة العربية الأصيلة، ولا تقوم على التعليل والتفصيل، وإن ذكر، فهي تعاليل لا تخضع لقاعدة يلتزم بها النقاد ولا الشعراء، ومع التطور الفكري والثقافي ظلت هذه الملاحظات المنثورة أساساً لما ذكره علماء البلاغة والنقد من أحكام بلاغية فيما بعد.

2.1. التطور البلاغي في صدر الإسلام وعصر بني أمية

لا فاصل زمنياً بين العصر الجاهلي وصدر الإسلام؛ فالعرب في هذا العصر بلغوا منزلة سامية بلاغةً وجودةَ قريحة ونصاعةَ بيان؛ فشُرّفوا أن ينزل القرآن بلسانهم لا بلسان غيرهم، فلما بهرهم جمال لفظه ولطف معناه ومتانة نظمه – وهم رأس الخطابة والبلاغة والفصَاحة، وقولِ الشعرِ– أذعنوا أمام تحدّيه، وأيقنوا أنه ليس بمقدور بشر مضاهاته، فلا بيان أبينُ من بيانه، ولا كلام أجمع من كلامه وأتم.

وأذكر كلاماً حَفَلت به كتب السّير للوليد بن المغيرة عم أبي جهل، وكان من عظماء قريش، وفي سعة من العيش، لما سمع من النبي ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ ﴾ [النحل: 90]. طلب إعادتها عليه، ثم قال لقومه بني مخزوم: والله لقد سمعت من محمدَ آنفاً كلاماً؛ ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو وما يُعلى.[12] وهذه شهادة عدوٍّ لَدود من قوم، معدنهم بيان، وديدنهم فصاحة، وتبجحهم بلاغة؛ إذن هي شهادة عن أهل البلاغة واللسن تدلّ على تمكنهم وقدرتهم على تمييز البليغ والأبلغ، ويظهر أن قريشاً كانت الحكم الذي ترضى حكومته، ولا يرد قضاؤه، جاء في الأغاني :«أن العرب كانت تعرض أشعارها على قريش، فما قبلوه منها كان مقبولاً، وما ردّوه منها كان مردوداً».[13] فلما سمعوا القرآن، ورأوا ما هو خارج عن تحبير ألفاظهم وجزالتها ومتانة تراكيبهم وتماسكها مع وفرة المعنى ووضوح القصد أقروا بعجزهم أمام تحديه عن بلوغ شأوه. ولن أدخل في بيان بلاغة القرآن وإعجازه، فله بحث خاص بمشيئة الله تعالى.

وأما كلام رسول الله وسمو بلاغته فيكفي أن أذكر أنه كان ينتقي من غير تكلف الألفاظ المناسبة للمعاني المطروحة ففي الحديث: «لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: خَبُثَتْ نَفْسِي، وَلَكِنْ لِيَقُلْ: لَقِسَتْ نَفْسِي».[14] وذلك كراهية إضافة الخباثة إلى المؤمن. وتتجلى الدقة اللفظية في تصحيحه للبراء بن عازب حين قال «آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ» فقال له: «لَا وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ» ولا ريب أن ثمة فرقاً في المَفردات – ثم في التركيب – بين النبي والرسول لفظاً ومعنى، قال الحافظ ابن حجر: «وأولى ما قيل في الحكمة في رده على من قال الرسول بدل النبي أن ألفاظ الأذكار توقيفية ولها خصائص وأسرار لا يدخلها القياس فتجب المحافظة على اللفظ الذي وردت به وهذا اختيار المازري قال فيقتصر فيه على اللفظ الوارد بحروفه».[15]

وللحديث عن بلاغة النبي كلام طويل، أجاد فيه مصطفى صادق الرافعي في كتابه إعجاز القرآن والبلاغة النبوية وأنقل ما قاله الجاحظ في وصف منطق رسول الله « لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً ولا أقصد لفظاً ولا عدلاً ووزناً ولا أجمل مذهباً ولا أكرم مطلباً ولا أحسن موقعاً ولا أسهل مخرجاً ولا أفصح معنىً ولا أبين في فحوى من كلامه ».[16]

---

12 القاضي عياض بن موسى اليحصبي، الشفا بتعريف حقوق المصطفى(بيروت: دار الفكر، 1409–1988)،1:262.

13 الأغاني 10/206.

14 صحيح البخاري عن عائشة برقم 6179 بَابُ لاَ يَقُلْ: خَبُثَتْ نَفْسِي، وصحيح مسلم عنها برقم 2250بَابُ كَرَاهَةِ قَوْلِ الإِنْسَانِ خَبُثَتْ نَفْسِي.

15 ابن حجر، فتح الباري، (بيروت: دار المعرفة، 1379)، 11: 211 .

16 الجاحظ، البيان والتبيين،(بيروت : دار الهلال، 1423)، 2: 14.

ومن الملاحظات النقدية الأسلوبية التركيبية ما جاء عن الصديق أبي بكر رضي الله عنه حين عرض لرجل معه ثوب، فقال له: أتبيع الثوب؟ فأجابه: لا، عافاك الله. فتأذى أبوبكر مما يوهمه ظاهر اللفظ، إذ قد يظن أن النفي مسلط على الدعاء، فقال له: لقد علمتم لو كنتم تعلمون، قل: لا، وعافاك الله.[17] وهذا ما سماه البلاغيون (علم الفصل والوصل)، وقالت العرب فيه: إن البلاغة معرفة الفصل والوصل.

وإذا ما انتقلنا إلى عصر بني أمية فسنجد أثراً ملحوظاً لتصور معنى البلاغة في جواب صحّار بن عياش العبديّ لمعاوية بن أبي سفيان «ما تعدّون البلاغة فيكم؟ قال: الإيجاز، قال: وما الإيجاز؟ قال صحار: أن نجيب فلا نبطئ، ونقول فلا نخطئ».[18]

وسنجد في هذا العصر ظاهرة الأسواق الأدبية تعود من جديد، فسوق «المربد» في البصرة وسوق «الكناسة» في الكوفة يشبهان أسواق الجاهلية، ومن أبرز روادهما جرير والفرزدق وذو الرمة، ويذكر أن الأخير كان ينشد في سوق «الكناسة» إحدى قصائده، فلما انتهى فيها إلى قوله:

إذا غيَّرَ النأيُ المحبين لم يَكدْ رسيسُ الهوى من حبِّ ميّةَ يبرح

صاح به ابن شبرمة: أراه قد برح، وكأنه لم يعجبه التعبير بقوله: لم يكد. فكف ذو الرمة ناقته بزمامها وجعل يتأخر بها ويفكر، ثم عاد فأنشد:

إذا غير النأي المحبين لم أجد رسيَس الهوى من حب ميّةَ يبرح.

وانتقاء الألفاظ سليقة عند الشعراء العرب فإذا صُحّفَ بمرادف له بدا النبوُّ واضحاً لذي بصر، فمن البصر الشديد بتخير الألفاظ وانتقاء الكلمة المناسبة في مَكانها الأخَص الأشكل بها وتلاؤمها مع سياقها ما نقله أبو هلال: أن رجلاً أنشد ابن هرمة قوله :

بالله ربّكَ إنْ دخلتَ فقلْ لها هذا ابنُ هرمةَ قائماً بالباب

فقال: ما كذا قلتُ، أكنتُ أتصدَّق؟ قال: فقاعداً. قال: أكنت أبول؟ قال: فماذا؟ قال: واقفاً. ليتك علمت ما بين هذين من قدر اللفظ والمعنى [19].

ووفدت ليلى الأخيلية على الحجاج فأنشدته قولها فيه:

إذا نـزل الحجاج أرضاً سقيمةً تتبع أقصى دائها فشفاها

شفاها من الداء العضال الذي بها غلام إذا هز القناة ثناها

فوصلها الحجاج بألف دينار، وقال: لو قلت: بدل «غلام» «همام» لكان أحسن»[20].

ومن الملاحظات القيمة أيضاً في انتخاب المعاني المناسبة للمقام ما ذكره قدامة بن جعفر (ت: **327** هـ)« من الأمثلة الجياد في هذا الموضع ما قاله عبد الملك بن مروان لعبيد الله بن قيس الرقيات، حيث عتب عليه في مدحه إياه: إنك قلت في مصعب بن الزبير:

إنما مصعبٌ شهابٌ من اللَّـهِ تجلَّتْ عن وجههِ الظّلماءُ

وقلت فيّ :

يأتلقُ التّاجُ فوقَ مفرقِه على جبينٍ كأنَّهُ الذَّهبُ

فوجهُ عتب عبد الملكِ: إنما هو من أجل أن هذا المادح عدل به عن الفضائل النفسية، التي هي العقل

---

17 المصدر السابق، 1: 219 .

18 المصدر السابق 1/98.

19 العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، الصناعتين تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت: دار الكتب العلمية،1419هـ)، 68.

20 الجاحظ، المحاسن والأضداد، (بيروت: دار الهلال، 1423)، 174. والمبرد، الكامل، 1: 242.

والعفة والعدل والشجاعة، وما جانس ذلك، ودخل في جملته إلى ما يليق بأوصاف الجسم في البهاء والزينة، وقد كنا قدمنا أن ذلك غلط وعيب» [21].

وحسبك أن تقرأ هذه الرواية وما فيها من تناسب في المعاني وتنافر لتدرك دقة النقد الذي قامت عليه علوم البلاغة فيذكر المبرد في كامله أن عمر بن أبي ربيعة ونصيباً والأحوص أتوا كثيّر عزة فقال كثيّر مخاطباً عمر: يا أخا قريش، والله لقد قلت فأحسنت في كثير من شعرك، ولكن خبرني عن قولك:

قالت لها أختها تعاتبــها لا تُفسدنَّ الطوافَ في عُمَر
قومي تصدَّي له ليبصرنا ثم اغمزيه يا أختُ في خَفَر
قالت لها: قد غمزته فأبى ثم اسبطرَّت تشتدُّ في أثري

أتراك لو وصفت بهذا هرّة أهلك، ألم تكن قد قبّحت وأسأت وقلت الهجر؟ إنما توصف الحرّة بالإباء والحياء والالتواء والبخل والامتناع كما قال هذا، وأشار إلى الأحوص:

أدور وَلَوْلَا أَن أرى أم جَعْفَر بأبياتكم مَا درت حَيْثُ أدور
وَمَا كنت زواراً وَلَكن ذَا الْهوى إذا لم يزر لَا بُد أَن سيزور
لقد منعت معروفَهَا أمُّ جَعْفَر وَإِنِّي إِلَى معروفها لفقير

قال: فامتلأ الأحوص سروراً.[22]

وجاء في كتاب الشعر والشعراء أن الأقيشر دخل على عبد الملك بن مروان وعنده قوم، فتذاكروا الشعر، وذكروا قول نصيب:

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت فيا ويح دعد من يهيم بها بعدى

فقال الأقيشر: والله لقد أساء قائل هذا الشعر، قال عبد الملك: فكيف كنت تقول لو كنت قائله؟ قال: كنت أقول:

تحبّكم نفسي حياتي، فإن أمت أوكّل بدعد من يهيم بها بعدى

قال عبد الملك: والله لأنت أسوأ قولا منه حين توكّل بها فقال الأقيشر: فكيف كنت تقول يا أمير المؤمنين؟ قال: كنت أقول:

تحبّكم نفسي حياتي، فإن أمت فلا صلحت هند لذى خلّة بعدى

فقال القوم جميعاً: أنت والله يا أمير المؤمنين أشعر القوم.

ولا ريب أن هذه الملاحظات النقدية تقوم على فكرة المناسبة بين الشكل والمضمون مع مراعاة مقتضى الحال؛ فحال إنكار كثير أن المرأة هي المطلوبة المتمنعة لا الطالبة الراغبة وهذا التركيب لا يستقيم مع حال المرأة العربية بخلاف العجمية كما يذكر ابن رشيق القيرواني (ت 463 هـ)[23] وقريب من هذا رد عبد الملك بن مروان. فشأن العربي الغيرة من غير عكس. وهذه الملاحظات البيانية النقدية وغيرها مما لم أذكره «لم تغب عن أذهان البلاغيين حين أصّلوا قواعد البلاغة، وهي بحق تُعدُّ الأصول الأولى لقواعدهم».[24]

2. التطور البلاغي والتدوين.

1.2. *البلاغة بين التأصيل والتدوين (القرن الثاني)*

ما سلف ملاحظاتٌ ذوقية فردية لم تكن مقياساً يقاس عليه، ولا نظاماً يسار عليه، بل هي درر منثورة في

---

21 قدامة بن جعفر، نقد الشعر. تح: محمد عبد المنعم خفاجي، (بيروت: دار الكتب العلمية)، 184.

22 المبرد، الكامل في اللغة والأدب تح: محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة، دار الفكر العربي، الطبعة الثالثة 1997م) 116/2

23 ابن رشيق القيرواني، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد (بيروت: دار الجيل، 1401 — 1981) ، 2: 124.

24 شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ (القاهرة: دار المعارف).19.

بطون الكتب التقطها البلاغيون ولا سيما اللغويون. ويمكن القول: إن الدراسة البلاغية نمت وشبت في ظلال القرآن الكريم، وأول بذورها في كتب معاني القرآن؛ لأن العلماء شعروا بواجبهم نحو كتاب ربهم، فعقدوا العزم على بيان مجازه ومعانيه وبيان غريبه ومشكله، يضفون على كتاباتهم مسحة جمالية تجود بها قرائحهم بما ملكوا من قدرات علمية ومواهب إيمانية، وقبل الولوج في ذلك أحب أن أشير إلى عالم قل نظيره في صدر بني العباس، وله بصمة بارزة في علم البلاغة، وهو عبد الله بن المقفع (143هـ). وهو كما قال د. شوقي ضيف:« يُعدُّ في طليعة من ثبتوا الأسلوب العباسي الجديد الذي سمي باسم الأسلوب المولَّد، وهو أسلوب يمتاز بالنصاعة والدقة في اختيار الألفاظ، ووضعها في أمكنتها الصحيحة، وبث المعاني المستحدثة فيها دون عوج أو تعقيد». (25)

فابن المقفع وظَّف أسس الكلام البليغ في مطابقته لمقتضى الحال من إيجاز وإطناب وحسن استهلال ودلالة صدر الكلام على آخره « فلم يفسّر البلاغةَ تفسير ابن المقفع لها أحدٌ قط لما سئل: ما البلاغة؟ قال: البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة، فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الحديث، ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون جواباً، ومنها ما يكون ابتداءً، ومنها ما يكون شعراً، ومنها ما يكون سجعاً وخطباً، ومنها ما يكون رسائل، فعامة ما يكون من هذه الأبواب الوحي فيها والإشارة إلى المعنى. والإيجاز هو البلاغة، فأما الخطب بين السّماطين وفي إصلاح ذات البين، فالإكثار في غير خطل والإطالة في غير إملال، وليكن في صدر كلامك دليلٌ على حاجتك كما أن خير أبيات الشعر البيت الذي إذا سمعت صدره عرفت قافيته، قال: فقيل له: فإن ملَّ المستمعُ الإطالةَ التي ذكرت إنما حق ذلك الموقف، قال إذا أعطيت كل مقام حقه، وقمت بالذي يجب من سياسة ذلك المقام، وأرضيت من يعرف حقوق الكلام، فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد والعدو؛ فإنه لا يرضيهما شيء، وأما الجاهل فلست منه وليس منك، ورضا جميع الناس شيء لا تناله، وقد كان يقال: رضا الناس شيء لا ينال». (26) ويُلاحظُ تبلور فكرة مخاطبة كل إنسان على قدر استعداده في الفهم ونصيبه من اللغة عند البلغاء، فلا يجوز أن يخاطب العاميُّ بما يخاطب به الأديب الملمُّ بلغة العرب وأسرارها. فقد ذكروا أن بعضهم قال لبشار بن بُرد: يا أبا معاذ، إنك لتجيء بالأمر المهجّن. قال: وما ذاك؟ قلت: إنك تقول:

إذا ما غضبنا غضبة مضريّة هتكنا حجاب الشمس أو مطرت دما
إذا ما أعرنا سيّدا من قبيلة ذرى منبر صلّى علينا وسـلّما

ثم تقول:

ربابة ربّة البـيت تصبّ الخلّ فى الزيت
لها عشر دجاجات وديـك حسن الصوت

فقال: كلّ شيء فى موضعه. وربابة هذه جارية لى، وأنا لا آكل البيض من السّوق، فربابة هذه لها عشر دجاجات وديك، فهى تجمع علىّ هذا البيض وتحظره لى، فكان هذا من قولى لها أحبّ إليها وأحسن عندها من : قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل. (27)

إذاً فقوام البلاغة مرتكز على عنصريين رئيسين: هما اللفظ والمعنى، ولا غنى لأحدهما عن شقيقه، فالألفاظ أجساد، والمعاني أرواح، وإنما تراها بعيون القلوب، فإذا قدّمت منها مؤخّراً، أو أخَّرت منها مقدّماً أفسدتَ الصورة وغيّرتْ المعنى، كما لو حوّل رأس إلى موضع يد، أو يدٌ إلى موضع رجل، لتحوّلت الخلقة، وتغيّرت

25 المصدر السابق.

26 الجاحظ، البيان والتبيين، تح: المحامي فوزي عطوي، (بيروت: دار صعب ، 1968)، 76 بتصرف يسير جداً

27 المرزباني محمد بن عمران، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، تح: محمد حسين شمس الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية ط: 1، 1995)،289.

الحلية كما قال كلثوم بن عمرو بن أيوب العتابي.[28] وهذه ملاحظة دقيقة في رصف الألفاظ مع معانيها، فالمعنى لا يقوم بغير لفظ كما لا تقوم الروح بغير جسد، فهما متلازمان تلازمهما في الأشخاص، ويمضي في تمثيله، فيطلب أن توضع الألفاظ في مواضعها الدقيقة، فلا يدخلها التقديم والتأخير المفسدان؛ لأنها حينئذ تصرف عن وجوهها، وتفقد حسنها وجمالها، وإنه ليحسّ في سوء نظمها إذا اضطرب اضطراباً شديداً ما يحسّه في جسد الشخص الجميل لو أن أعضاءه تبادلت مواضعها وأماكنها، إذن يصبح جسداً مشوهاً لما فقد من نظامه وتنضيده الدقيق.[29]

وأعود للقول: إن اللبنات الأساس لعلم البلاغة أخذت سبيلها إلى الكتابة عبر كتب معاني القرآن وغريبه، وأول كتاب في معاني القرآن ومجازه في عصر بني العباس وصل إلينا كتابُ «مجاز القرآن» لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت: 209 هـ). والباعث على تأليفه أن الفضل بن الربيع وزير الرشيد استقدم أبا عبيدة من البصرة لحضور مجلسه سنة 188هـ فلما حضر إلى المجلس، سأله إبراهيم بن إسماعيل الكاتب عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿طَلْعُها كَأَنَّهُ رُؤُسُ الشَّياطِينِ﴾ [الصافات: 65]. وإنما يقع الوعد والإيعاد بما عرف مثله، وهذا لم يعرف، فقال أبو عبيدة: إنما كلّم الله تعالى العرب على قدر كلامهم، أما سمعت قول امرئ القيس:

أَيَقْتُلُنِي وَالمَشْرَفِيُّ مُضَاجِعِي وَمَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كَأَنْيَابِ أَغْوَالِ

وهم لم يروا الغول قطّ، ولكنه لما كان أمر الغول يهولهم، أُوعِدوا به فاستحسن الفضل والسّائل ذلك، قال أبو عبيدة: فعزمت من ذلك اليوم أن أضع كتاباً في القرآن في مثل هذا وأشباهه، وما يحتاج إليه من علمه، فلمّا رجعت إلى البصرة، عملت كتابي الذي سمّيته «المجاز». وكتابه ليس بلاغياً، بل جاءت الملاحظات البلاغية أثناء تفسيره الآيات بما ورد مثلها في كلام العرب، فذكر التشبيه، ومجاز التمثيل أي الاستعارة والمجاز، وهي ثوابت علم البيان حتى قيل: إنه أول من بحث مسائله،[30] وإن لم يَقصد بالمجاز قسيمَ الحقيقة، وإنما عنى بمجاز الآية ما يعبر به عن معنى الآية. فقال: «ومن مجاز ما حُذف، وفيه مضمَر قوله: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ [يوسف: 82]، فهذا محذوف فيه ضمير مجازه: وسل أهل القرية، ومَن في العير».[31] وقالَ في قوله: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ [التوبة:109] مجاز التمثيل [32]، وهذا ما عُرِف فيما بعد بالاستعارة التمثيلية.

ولأبي عبيدة لفتات في التقديم والتأخير والالتفات، وإن لم يسمه باسمه.[33] وما ذكره أبو عبيدة من دلالة الخاص على العام وعكسه، ومخاطبة الواحد خطاب الجمع ونظائره ذكره الإمام الشافعي- رضي الله عنه- (204 هـ) في رسالته، فقال: «خاطب الله بكتابه العرب بلسانها على ما تعرف من معانيها، وكان مما تعرف من معانيها اتساع لسانها، وأن فطْرَتَه أن يخاطب بالشيء منه عاماً ظاهراً يراد به العام الظاهر ويُستغنى بأول هذا منه عن آخره. وعاماً ظاهراً يراد به العام ويدخله الخاص، فيستدل على هذا ببعض ما خوطب به فيه. وعاماً ظاهراً يراد به الخاص، وظاهرٌ يعرف في سياقه أنه يراد به غير ظاهره، فكل هذا موجودٌ علمه في أول الكلام أو وسطه أو آخره». [34] وأشار أيضاً إلى رد الأعجاز على الصدر والكناية والتعريض،

---

28 العسكري، الصناعتين :161،وحبنكة، البلاغة العربية (دمشق: دار القلم، 1996)، 1: 124.

29 شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ 41 بتصرف.

30 ابن تيمية الحراني، كتاب الإيمان، (القاهرة، مطبعة السعادة، 1320)،35 وحبنكة، البلاغة العربية، 2: 125. وقيل: إن أول من بحث مسائله الجاحظ تلميذ أبي عبيدة، ينظر: خفاجي، مقدمة الإيضاح، 9.

31 أبو عبيدة، مجازالقرآن،1:8.

32 المصدر السابق،1: 269.

33 المصدر السابق، 1: 11. بل أول من خلع عليه اسم الالتفات الأصمعي عبد الملك بن قريب المتوفى 211هـ وذكره ابن المعتز في بديعه 25.

34 انظر: الشافعي، الرسالة، تح: أحمد محمد شاكر، (القاهرة: مطبعة مصطفى البابي، 1939)، 51 –58 –59–60.

[35] وأشار إلى الإيجاز بالحذف في قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾. [الأعراف: 163]. فقال: «فابتدأ - جل ثناؤه - ذكر الأمر بمسألتهم عنَ القرية الحاضرة البحر﴿ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ ﴾. دل على أنه إنما أراد أهل القرية؛ لأن القرية لا تكون عادية ولا فاسقة بالعدوان في السبت ولا غيره، وأنه إنما أراد بالعدوان أهل القرية الذين بلاهم بما كانوا يفسقون وقال ﴿ كَمْ قَصَمْنَا من قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ [الأنبياء:12-11] وهذه الآية في مثل معنى الآية قبلها، فذكر قصم القرية، فلما ذكر أنها ظالمة بان للسامع أن الظالم إنما هم أهلها دون منازلها التي لا تظلم، ولما ذكر القوم المنشئين بعدها، وذكر إحساسهم البأس عند القصم أحاط العلم أنه إنما أحس البأس من يعرف البأس من الآدميين... وقال الله وهو يحكي قول إخوة يوسف لأبيهم ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾[يوسف:82]. فهذه الآية في مثل معنى الآيات قبلها لاَ تختلف عند أهل العلم باللسان أنهم إنما يخاطبون أباهم بمسألة أهل القرية وأهل العير؛ لأن القرية والعير لا ينبئان عن صدقهم».[36] ومتأخرو البلاغيين يدخلون هذا في المجاز المرسل. ولا ريب أن الإسناد إلى ما لا يعقل فيه من المبالغة وتأكيد صدقهم بحيث لو تم تأتي أجابتهم لشهدوا بصدق ما أخبروا أباهم به كقولهم: مررت برجل عدل.

وهناك إشارات بلاغية كثيرة في كتاب معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (207هـ) - عصريُّ الشافعي وأبي عبيدة - استقى منها علماء البلاغة والتفسير، واعتمدوها أسساً وشواهد على مسائل البلاغة، منها أنه عرّف التشبيه وبيّن أركانه الأربعة، وعرض للمشاكلة دون تسمية لها، وذكر صور المجاز العقلي، وإن لم يسمّه.[37] وذكر خروج الاستفهام عن أصل دلالته [38] والإيجاز بالحذف [39] ففي آية يوسف السابقة يقول: «والمعنى سل أهل القرية وأهل العير، وأنشدني المفضّل:

حَسِبْتَ بُغَامَ راحلتي عَنَاقاً وما هِيَ -وَيْبَ غَيرِكَ- بالعَنَاق [40]

ومعناه: بغام عناق. ومثله من كتاب الله:﴿ لَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾[البقرة:177]. معناه - والله أعلم -ولكنّ البرَّ برُّ من فعل هذه الأفاعيل التي وصف الله. والعرب قد تقول: إذا سرّك أن تنظر إلى السّخاء، فانظر إلى هرم أو إلى حاتم. وأنشدني بعضهم:

يقولُون جاهِدْ يا جميلُ بغَزْوَة وإنَّ جِهاداً طَيِّءٌ وقتالُها[41]

يجزئ ذكر الاسم من فعله إذا كان معروفاً بسخاء أو شجاعة وأشباه ذلك».[42]

ويلاحظ أن ما قاله الفراء ما يزال في كتب البلاغة شاهداً على هذا الحذف، وأنه لا يحسن هذا الحذف إلا إذا فهم المعنى، ووجدت قرينة تدل على المحذوف، ويلاحظ أيضاً أن الفراء بيَّن سبب هذا الحذف أو النسبة

---

35 وقال عبد القاهر: فصل في اللفظ يطلق والمراد به غيرُ ظاهره» اعلمْ أنَّ لهذا الضربِ اتّساعاً وتفنُّناً لا إلى غايةٍ إلا أنه على اتّساعه يدورُ في الأمرِ الأعمِّ على شيئين: الكنايةِ والمجاز «. دلائل الإعجاز، تح: محمود شاكر (جدة: دار المدني) 66.

36 الشافعي، الرسالة، 62–63–64.

37 الفراء، معاني القرآن، تح: أحمد يوسف نجاتي وآخرين، (القاهرة: دار المصرية)، 1: 14.

38 المصدر السابق 1: 202.

39 المصدر السابق 1: 48.

40 البيت لذي الخرَقِ الطُّهَوِيّ يُخاطب ذئباً تَبِعَهُ في طريقه: والبغام: الصوت وباغَمَ فلان المرأةَ مُباغَمةً إذا غازَلَها بكلامه ينظر اللسان مادة (عقا — بغم — ويب) والعناق: الأنثى من أولاد المعز والغنم من الولادة إلى تمام الحول.

41 انظر: مجالس ثعلب، 76، ونسبت الأبيات في الحماسة لأَنَيْفُ بنُ زَبّان النَّبْهانيُّ مِنْ طَيىء،1: 47.

42 الفراء، معاني القرآن1: 62.

الإيقاعية كما عرفت فيما بعد، وذلك في قوله: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ [النساء:75]. «خفض - الظَّالِمِ - لأنه نعت للأهل، فلما أعاد الأهل على القرية كان فعل ما أضيف إليها بمنزلة فعلها كما تقول: مررتَ بالرجل الواسعة داره، وكما تقول: مررت برجل حسنة عينه. وفي قراءة عبد الله: ﴿أَخْرِجْنَا مِنْ الْقَرْيَةِ التي كانت ظالمة﴾». (43)

و ينبغي أن لا نقصر الملاحظات البلاغية على كتب معاني القرآن ومجازه، بل إن لكتب اللغة أثراً لا يقل أهمية، فكتب اللغة والأدب لم تكن متخصصة في النحو أو الصرف أو الأدب كما هو الحال اليوم، بل كانت المسائل متشعبة بينها، فكتاب سيبويه - رحمه الله – (180هـ) لم يكن حَكْراً على مسائل النحو، بل فيه اللغة والأدب والنحو والصرف والبلاغة والنقد، فما ذكره الشافعي وأبو عبيدة والفراء في سورة يوسف ذكره سيبويه، بل بين سبب هذا الإيجاز، فعقد باباً أسماه» باب استعمال الفعل في اللَّفظ لا في المعنى لاتِّساعهم في الكلام والإيجاز والاختصار» فذكر الآية ثم قال: « إنّما يريد أهلَ القرية فاختصَرَ وعَملَ الفعلُ في القَرية كما كان عاملاً في الأَهْلِ لو كان ها هنا... ومثله في الاتّساع قولُه عزّ وجلّ:﴿ وَمَثَلُ الَّذينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذى يَنْعِقُ بِمَا لايَسمَعُ إلاَّ دُعَاءً ونِدَاءً﴾[البقرة:171]. فلم يشبِّهوا بما يَنْعِقُ وإنَّما شُبِّهوا بالمنعوق به وإنَّما المعنى مَثَلُكم ومَثَلُ الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به الذي لاُ يَسمع، ولكنه جاء على سعة الكلام والإيجاز لعلم المخاطَب بالمعنى». (44) وأشار إلى تأكيد المدح بما يشبه الذم. (45)

وبحكم العلاقة بين البلاغة وإقامة الكلام على ما يقتضيه علم النحو، نجد كثيراً من المسائل النحوية كمبحث التقديم والتأخير، والحذف والذكر، والتعريف والتنكير، والاستفهام، والتعجب، والنداء، وهي مسائل كما لا تخلو منها كتب البلاغة هي من صميم علم النحو. ومثل هذه الإشارات لدى الشافعي والفراء وأبي عبيدة وغيرهم - وهي متشابهة - اقتطفها الإمام الطبري في تفسيره، وهضمها هضماً جيداً، ومنه أخذ الزمخشري مثل هذه النكت بعدُ فصاغها في مظانها بعد هضمه لنظرية عبد القاهر الجرجاني في النظم.

2.2. *تطور التدوين البلاغي (القرن الثالث)*

كثرت في القرن الثالث الهجري الفرق الإسلامية وتنوعت مشاربها وتفاقم الصراع بينها، وانبرت الشعوبية لتطل برأسها من جديد، وبدأت حملات تشكيك بالعرب والقرآن الكريم، فتصدى المدافعون عن العرب وعربية القرآن في وجه أولئك الطاعنين فيمَّموا وجوههم نحو دراسة القرآن دراسة فيها روح البلاغة، تظهر جواهره الأسلوبية وبلاغة معانيه، ومدى ما بين الأسلوب والمعنى من تماسك وتلاؤم، قاصدين إبراز مظاهر إعجاز القرآن الكريم، ومن أهدافهم الرد على الشعوبيين، فكان عمرو بن بحر أبو عثمان الجاحظ (ت 225هـ) الذي أفرد كتاباً أسماه «نظم القرآن» بالإضافة إلى ما ساقه في كتبيه «البيان والتبيين «و»الحيوان». فكان لملاحظاته أثر ومنحى جديد في الدراسة البلاغية، فقد تناول كثيراً من الفنون البيانية بشكل لم يعهد من قبله، فذكر البديع، ورأى أنه مقصور على العرب، ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة، وأربت على كل لسان. (46). وفي هذا يرد على الشعوبية ويدافع عن العرب، وذكر الازدواج والسجع، وجاء بنماذج لهما، (47) وخص بالذكر ما سمي بـ»الأسلوب الحكيم» : وهو ترك جواب السائل إلى ما هو أنفع له، (48) وقريب منه اللغز

---

43 المصدر السابق، 1 :277.

44 سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تح: عبد السلام هارون (القاهرة: الخانجي 1408/ 1988). 1: 212.

45 المصدر السابق، 2: 325.

46 الجاحظ، البيان والتبيين، تح: المحامي فوزي عطوي، (بيروت: دار صعب ، 1968)، 584–585.

47 المصدر السابق، 152– 157– 272.

48 المصدر السابق، 352.

في الجواب،[49] والمذهب الكلامي، وهو أول من سماه بهذا الاسم،[50] وذكر جودة الابتداء والقافية،[51] وأسلوب القلب، وعدّه من الحذق في الكلام،[52] ومدح الكلام الموزون، وبين تفضيل إصابة المقادير، وهو ما سماه البلاغيون «الاحتراس»؛ وذكر بيت طرفة في المقدار وإصابته :

فَسَقَى دِيارَكِ - غيرَ مُفسِدِها- صَوْبُ الرّبيعِ وديمةٌ تَهْمِي[53]

طلب الغيث على قدر الحاجة؛ لأن الفاضل ضارٌّ «، وذكر الكناية، مبيناً فضلها، فقال: « ومن البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة أن تدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها، إذ كان الإفصاح أوعرَ طريقة، وربما كان الإضراب عنها صفحاً أبلغَ في الدرك، وأحق بالنظر»،[54] وساق أمثلة على ذلك، وعرض لإيجاز الحذف والقصر، فبين فضله مع شواهده، [55] ومدح الإيجاز في موضعه، ولم يَقصد به مجرد قصر الألفاظ وقلة كميتها فحسب، بل مساواتها الدقيقة للمعاني دون زيادة. [56] وهذا ما أخذ به ابن الأثير حين رفض وجود طبقة ثالثة بين الإيجاز والإطناب، وإن لم ينكر حقيقة المساواة، فأدخلها ضمن الإيجاز بهذا المعنى الذي قصده الجاحظ. وذكر الإطناب باسم الإطالة، ومدحه في موضعه، وعدَّه من البلاغة،[57] وذم التكلف فيه، [58] وأورد كثيراً من التشبيهات الرائعة، وبين حسنها وما فيها من ذوق أدبي جمالي، فذكر التشبيه المفرق، ثم قال: « ولم نر في التشبيه كقوله: حينَ شبّه شيئين بشيئين في حالتين مختلفين في بيت واحد، وهو قوله:

كأن قلوبَ الطَّيرِ رَطْباً ويَابساً لدَى وَكْرِهَا العُنَّابُ والحَشَفُ البَالي

وشواهد المجاز والتشبيه من القرآن والشعر التي ذكرها لم تخرج كتب البلاغة بعده عنها [59] كما أنه ذكر الاستعارة في قول الشاعر:

يـا دَارُ قَدْ غَيَّرَهَا بِـلاهَا كأنَّمـا بقَلَـم مَحَـاهَا
أَخْرَبَهَا عِمْرَانُ مَنْ بَنَاها وكَرُّ مَمْسَاهَا عَلَى مَغْنَاهَا
وطَفقَتْ سَـحَابَةٌ تَغْشَاهَا تَبْكِيْ عَلَى عِرَاصِهَا عَيْنَاهَا

عيناها هاهنا: السحاب، وجعل المطر بكاء من السحاب على طريق الاستعارة، وتسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه، [60] وتسمية هذا النوع باسم الاستعارة؛ وإن لم يكن جامعاً ولا مانعاً، فهو أقرب للمجاز اللغوي، فلذلك أدخل ما نقل من معناه إلى غيره كالمجاز المرسل والكناية بعلاقة غير المشابهة [61] ولكن على

---

49 المصدر السابق 288.

50 ينظر ابن المعتز، 53 البديع، اعتنى به إغناطيوس كراتشفوفسكي، (بيروت: دار المسيرة، 1982).

51 الجاحظ، البيان والتبيين، 74 ومقدمة الإيضاح، 9–31.

52 ا المصدر السابق، 143.

53 ينظر ديوانه 82 من قصيدة يهدد بها المسيب بن علس ويمدح قتادة بن مسلمة، وكان قد أصاب قومه سنة فأتوه فبذل لهم وكان قتادة من أجواد العرب.

54 الجاحظ: البيان والتبيين. تح: فوزي عطوي، (بيروت: دار صعب، 1968)، 61 –216.

55 المصدر السابق، 149.

56 المصدر السابق، 66–67–72–93–96–226.

57 المصدر السابق، 61 –96.

58 المصدر السابق، 118.

59 الجاحظ، الحيوان، 5/ 24– وما بعد. حيث شبه قلوب الطير الرطبة بالعناب، وهو نوع نبات وشبهها وهي يابسة بالحشف البالي، ولم يقصد هيئة واحدة مجتمعة، لا يمكن تفريقها حتى يصبح تشبيهاً مركباً.

60 الجاحظ، البيان والتبيين، 94–95.

61 انظر: الجاحظ: الحيوان، 2/280 والبيان والتبيين 94–95.

كل حال تعدّ خطورة هامة في البحث البياني.

وما ينبغي ملاحظته أن الجاحظ أثار كثيراً من قضايا البلاغة العامة كالعيوب اللسانية، فنبه على وجوب مراعاة مقتضى الحال من اختيار الألفاظ المناسبة البعيدة عن التعقيد للمعاني من غير تكلف فيها فنقل عن بشر بن المعتمر قوله: «ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً، ولكل حالة من ذلك مقاماً حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات». [62] ثم بين أنه لا ينبغي أن يكون اللفظ عامياً ساقطاً سوقياً ولا غريباً وحشياً إلا أن يكون المتكلم بدوياً أعرابياً[63] ثم قال: «ومتى شاكل -أبقاك الله- ذلك اللفظ معناه وأعرب عن فحواه، وكان لتلك الحال وفقاً، ولذلك القدر لفقاً، وخرج من سماجة الاستكراه، وسلم من فساد التكلف كان قميناً بحسن الموقع وبانتفاع المستمع، وأجدر أن يمنع جانبه من تناول الطاعنين، ويحمي عرضه من اعتراض العيابين، ولا تزال القلوب به معمورة والصدور مأهولة، ومتى كان اللفظ أيضاً كريماً في نفسه متخيراً في جنسه، وكان سليماً من الفضول بريئاً من التعقيد حبب إلى النفوس واتصل بالأذهان، والتحم بالعقول، وهشت إليه الأسماع، وارتاحت له القلوب». [64] وتعدُّ صحيفة بشر بن المعتمر الذي نشزها الجاحظ أول وثيقة مكتوبة في البلاغة.[65]

وبعد إلقاء هذه النظرة المختصرة على بذور البلاغة لدى الجاحظ - وهي بلاغة تذوقية جمالية؛ لم تخضع لتعريفات البلاغة وتحديداتها - يمكن أن أحكم على معالجة الجاحظ ألوان البلاغة بما قاله د.عبد العزيزعتيق (ت 1396هـ):

«ومجمل القول في الجاحظ أنه ألم في كتبه بالأساليب البيانية من تشبيه واستعارة وكناية وحقيقة ومجاز، ولكنه لم يوردها في تعريفات اصطلاحية، وإنما جاء تعريفه لها والدلالة عليها عن طريق الأمثلة والنماذج لا عن طريق القواعد البلاغية، والمقارنة بينه وبين من تقدموه يظهر أنه كان - بلا شك- أقدرهم على إدراك أسرار البلاغة، وأكثرهم اهتداء عن طريق النماذج إلى شتى العناصر أو الأساليب البيانية التي عرفت وحددت فيما بعد، وأصبحت تؤلف مباحث البلاغة وموضوعاتها، ولهذا السبب يعدّ بحق مؤسس البلاغة العربية الأول ومعبد الطريق أمام من أتى من بعده من رجالها».[66] وقال د. شوقي ضيف: «لو رام الجاحظ أن يدرس ما أورده من شواهد ونماذج ضمن تعريفات لما أعجزه ذلك؛ لأنه قد أورد بعض التعاريف التي ما عَدَتها كتبُ البلاغة، ودرس تحتها هذه الشواهد إلا أن الجاحظ اختار هذه الطريقة لما فيها من كشف عن أسرار البلاغة، والوقوف على مواطن الجمال فيها، وهذا منقبة له. ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا بعد ذلك كله: إن الجاحظ يُعَدُّ - غير منازع - مؤسسَ البلاغة العربية»[67] ولا غرابة في هذا، وإلى هذا يميل كل من محمد عبد المنعم الخفاجي وسيد نوفل ومازن المبارك[68].

---

62 الجاحظ، البيان والتبيين، 87-88.

63 المصدر السابق، 90

64 المصدر السابق ص216

65 ينظر الخطيب القزويني، الإيضاح، 48 والجاحظ، البيان والتبيين 584-585.

66 عبد العزيزعتيق، علم البيان، (بيروت: دار النهضة العربية، 1405 — 1982)، 11. وللدكتورخفاجي في مقدمته للإيضاح دراسة حول نشأة البلاغة العربية ودراسة أثر الجاحظ في البيان العربي كرر أكثر من مرة أن الجاحظ مؤسس البيان العربي، ونسبه إلى طه حسين ص23-27-31-34حتى 64. وهناك رسالة في كلية اللغة العربية بالأزهر بعنوان (الجاحظ مؤسس البيان العربي) للباحث محمد سلامة يوسف رحمة سنة 1968م برقم 120.

67 شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، 57.

68 ينظر: الخفاجي. مقدمة الإيضاح 23-27-31-34حتى 64. سيد نوفل، البلاغة العربية في دور نشأتها، (القاهرة: 1948)، 170. ومازن

وعندما اطلعت على ما كتبه الجاحظ في كتابيه الحيوان، والبيان والتبيين، ورنوت إلى ما فيهما من شواهد، وشرح للألوان البلاغية ومقارنتها مع غير العرب، ومدى تخير اللفظ المناسب مع شروط فيه؛ ليطابق المعنى ومراعاة أحوال المخاطب من إيجاز وإطناب وتكرار واحتراس وسوى ذلك من مباحث علم البيان، وإن لم تتضح معالمها كما استقرت عليه بعده، وكذلك أصناف البديع من سجع وازدواج وأسلوب الحكيم والمذهب الكلامي وغيرها، ثم لاحظت مدى تأثر عبد القاهر الجرجاني بأسلوب الجاحظ، مردداً أقواله بإعجاب، مستشهداً بها في زهو وثقة. أقول: مالت نفسي إلى هذا الرأي. واعتبار عبد القاهر مكمّلاً، ومشيّداً على هذا الأساس. والله أعلم

وفي النصف الثاني من القرن الثالث الهجري نجد عالماً لغوياً نحوياً فذاً خط كتاباً عدَّ عمدة في كتب الأدب العربي «الكامل» لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت 285هـ). ويلاحظ من خلال تناوله مباحث البلاغة وضوح الفكرة لديه، وهو أقرب إلى البلاغة الاصطلاحية بتقسيماتها وتعريفاتها، وإن لم تكن كذلك تماماً، فأستهلّ الكلام عن البلاغة بآخر ما ذكره المبرد في كتابه عن العتابي لما سئل: ما أقرب البلاغة؟ قال: ألا يؤتى السامع من سوء إفهام القائل، ولا يؤتى القائل من سوء فهم السامع،[69] ثم افتتح كلامه بتناول الإيجاز والإطناب، فتحدث عن الاختصار المفهم، والإطناب المفخم، ثم تحدث عن الألفاظ القريبة المفهمة وعن التعقيد المعنوي في قول الشاعر:

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلاَّ مُمَلَّكاً أَبُو أُمِّه حَيٌّ أَبُوهُ يُقَارِبُهْ.[70]

ثم ذكر خروج الاستفهام عن أصلَ دلالته إلى التوبيخ والتقرير.[71] ثم ذكر الاستعارة، وبين أن العرب تستعير من بعض لبعض،[72] وذكر أنه يقال لكل صحيح البصر ولا يعمل ببصره: أعمى، يراد أنه قد حل محل من لا يبصر البتة إذا لم يعمل بصره، وكذلك يقال للسميع الذي لا يقبل: أصم.[73] وكلامه عن التشبيه قد غطى على غيره لإطالته فيه فعقد له باباً سماه «باب في التشبيه» ثم حدَّه بقوله: الأشياء تشابه من وجوه وتباين من وجوه، فإنما ينظر إلى التشبيه من حيث وقع فإذا شبه الوجه بالشمس، فإنما يراد الضياء والرونق ولا يراد به العظم والإحراق.[74]

فحديثه هذا عن تعدد أغراض التشبيه والمشبه به واحد، ولكن بوجوه متعددة حسب ما يقتضي المقام، وهي فكرة بسطها القاضي الجرجاني [75]، وتبناها عبد القاهر وقيَّدها، وبيَّن المبرد أن ذلك جارٍ بكثرة في كلام العرب حتى لو قال قائل: هو أكثر كلامهم لم يبعد،[76] ثم قسم التشبيه إلى أربعة أضرب: مفرط ومصيب ومقارب وبعيد يحتاج إلى التفسير، ولا يقوم بنفسه، وهو أخشن الكلام،[77] ثم ساق شواهد على التشبيه

المبارك، الموجز في البلاغة، 59–60.

69 المبرد، الكامل، تح: محمد أحمد الدالي. (3: 1502).

70 المصدر السابق،1: 40. وما بعد والبيت للفرزدق يمدح إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي خال هشام بن عبد الملك بن مروان، والمعنى أنه لا يماثل أحد هذا الممدوح الذي هو إبراهيم إلا ابن أخته هشام، فأبو أم ذلك الملك أبو الممدوح. وهو في ديوانه طبعة الصاوي ص108.

71 المصدر السابق، 1: 17––18 277.

72 المصدر السابق، 1: 371

73 المصدر السابق، 2: 684

74 المصدر السابق، 2: 948

75 علي بن عبد العزيز الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، 392

76 المبرد، الكامل، 2/996

77 ا المصدر السابق، 1032

المفرط بما فيه من جيد وحسن وعجيب ثم المصيب والمقارب،[78] ثم ذكر التشبيه التمثيلي من تشبيه شيء في حالتين مختلفتين بشيئين مختلفين، فقال:« ومن تمثيل امرئ القيس العجيب قوله:

كَأَنَّ عُيُونَ الوَحْشِ حَوْلَ خبائنا وَأَرْحُلنَا الْجَزْعُ الَّذي لَمْ يُثَقَّبِ».[79]

ولم يقف المبرد ناقلاً، بل كان مبرزاً نواحي الجمال في التشبيه، فذكر حلو التشبيه وقريبه وصريحه وبليغه، وذكر التشبيه الخيالي، وبين أنه من تشبيه الحاضر بشيء غائب لما تقرر في القلوب من نكارته وشناعته، وذلك في قوله تعالى:﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ [الصافات: 65]. فقال: وقد اعترض معترض من الجهالة الملحدين، في هذه الآية. فقال: إنما يمثل الغائب بالحاضر، ورؤوس الشياطين لم نرها، فكيف يقع التمثيل بها! ... الذي يسبق إلى القلب - أن الله جل ذكره شنع صورة الشياطين في قلوب العباد. فكان ذلك أبلغ من المعاينة، ثم مثل هذه الشجرة مما تنفر منه كل نفس،[80] ويتحدث عن الكناية، ويبين أضربها الثلاثة وهي إما التعمية والتغطية، أو الرغبة عن اللفظ الخسيس المفحش إلى ما يدل على معناه من غيره، أو التفخيم والتعظيم، وهي نقلة نوعية في تطور مفهوم الكناية [81]، وأشار إلى المجاز، فذكر العلاقة بما يؤول إليه، وجعلها من قبيل التشبيه، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾[يوسف:36] أي أعصر عنباً فيصير إلى هذه الحال.[82] ويظهر أن المبرد لم يفرق بين المجاز المرسل والاستعارة. وذكر المبرد اللف والنشر وعرفه وذكر له أمثلة فقال: « والعرب تلف الخبرين المختلفين، ثم ترمي بتفسيرهما جملة، ثقة بأن السامع يرد إلى كل خبرَه. قال الله عز وجل: ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾[القصص:73][83] وذكر السجع، [84] والالتفات، وبين أن العرب تترك مخاطبة الغائب إلى مخاطبة الشاهد ومخاطبة الشاهد إلى مخاطبة الغائب، وذكر الآية الكريمة ﴿حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾ [يونس:22]. وبين أن المخاطبة للأمة ثم حولت المخاطبة إلى النبي.[85]

وكانت هذه اللمسات الفنية -ولاسيما في التشبيه والبيان- خيرَ رافد لمن جاء بعده بعد كتابات أستاذه» الجاحظ» وإن ظهر تأثر المبرد في كتاباته بالجاحظ وأبي عبيدة وسواهما، وبقيت كلمة يجب أن تسجل للمبرد وهي قوله في جواب أبي يعقوب الكندي الذي غدا مَعْلماً لما سمي بأضرب الخبر من ابتدائي وطلبي وإنكاري، فروى الإمام عبد القاهر الجرجاني - رحمه الله - عن ابن الأنباري أنه قال: رَكِبَ الكِنْدي المتفلسف [86] إلى أبي العباس، وقال له: إني لأجدُ في كلام العرب حَشْواً: فقال له أبو العباس: في أيّ موضع وجدتَ ذلك فقال: أجدُ العربَ يقولون: عبدُ الله قائمٌ. ثم يقولون: إنَّ عبد الله قائمٌ ثم يقولونَ: إن عبد الله لَقائمٌ، فالألفاظ متكرّرةٌ والمعنى واحدٌ. فقال أبو العباس: بل المعاني مختلفةٌ لاختلاف الألفاظ فقولُهم:عبدُ الله قائمٌ إخبارٌ عن

---

78 المصدر السابق، 1053 1072

79 المصدر السابق، 923/2 والبيت لامرئ القيس في ديوانه 78 من قصيدته في وصف ناقته وفرسه والجزع: خرز أسود يخالطه البياض. فشبه عيون الوحش بالحرز غير المثقوب؛ لأن عيونه غير مثقوبة أيضاً.

80 المصدر السابق، 996-997.

81 المبرد، الكامل، 855-656-857

82 المصدر السابق، 995 وإلى هذا نحا ابن الأثير في رده على الغزالي، فأخرجها من المجاز المرسل، وجعلها من باب الاستعارة ينظر: المثل السائر 71/2.

83 المبرد، الكامل، 166/1.

84 المصدر السابق، 787.

85 المصدر السابق، 572-910

86 هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق فيلسوف العرب كان معاصراً للمأمون والمعتصم والمتوكل، وله عندهم منزلة سامية، برع في الطب والفلسفة والمنطق وطبائع الأعداد وعلم النجوم، وحذا في تأليفه حذو أرسطو.

قيامه وقولُهم: إنَّ عبد الله قائمٌ جوابٌ عن سؤالٍ سائل. وقولُهم: إنَّ عبدَ الله لقائمٌ جوابٌ عن إنكارِ منكرٍ قيامَه فقد تكرَّرتِ الألفاظُ لتكرُّرِ المعاني. قال: فما أَحَارَ المُتفلسفُ جواباً.[87] فقد استطاع المبرد من خلالَ تضلعه بعلم النحو وإمامته لمدرسة البصريين أن يجيد فيما تناوله، فيعمل فيه فكره، وأراه لو أراد الاسترسال في باقي الفنون لأجاد كما أجاد في التشبيه وفي بعض فنون البديع كاللف والنشر، والسجع، والالتفات، ولكن عذره أن كتابه ليس مخصصاً للبحث في البلاغة؛ بله أنها لم تستقلَّ كفنٍ قائم بذاته له أسسه وغاياته.

ولا ينقضي هذا القرن إلا وقد حمل إلى الساحة البلاغية كتاباً سما بفن من فنون البلاغة، فالتصق به وهو كتاب «البديع» ومصنفه: عبد الله بن المعتز الخليفةُ العباسي (ت 296هـ)، الذي قال عن مصنَّفه: وما جمع فنون البديع ولا سبقني إليه أحد.[88] وكان قصد ابن المعتز من مؤلَّفه هذا بيانُ عوار قول من زعم التجديد في البديع، ويدحض حجج هؤلاء المبطلين، ويكشف زيف ما يدعونه من اختراع علم البديع مع أنه قديم، فرد الفضل إلى أهله. فقال:«قد قدمنا في أبواب كتابنا هذا ... الذي سمّاه المحدثون البديع؛ ليعلم أن بشّاراً، ومسلماً، وأبا نواس، ومن تقيّلهم وسلك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن، ولكنه كثر في أشعارهم فعرف في زمانهم حتى سمّي بهذا الاسم، ثم إن حبيب بن أوس الطائي من بعدهم شعف به حتى غلب عليه وتفرع فيه، وأكثر منه، فأحسن في بعض ذلك، وأساء في بعض، وتلك عقبى الإفراط وثمرة الإسراف».[89] وقد ذكر في كتابه هذا ثمانية عشر نوعاً.

وكتابه لم يكن حصراً على المحسنات البديعية الاصطلاحية، حيث بدأ بالاستعارة من بين خمسة ألوان هي أصول البديع الكبرى في نظره، [90] وعرفها بقوله: «استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء قد عرف بها».[91] ثم تحدث عن حسن التشبيه والاعتراض والتعريض والكناية.

وتعدُّ دراسته للبديع أول دراسة متخصصة من نوعها في كتاب تخصصي تناول مزايا البديع البلاغية، وإن وجدت متفرقات في كتابات الشافعي وأبي عبيدة والفراء والجاحظ وثعلب أستاذ ابن المعتز في كتابه «قواعد الشعر» وغيرها، وأفاد منه كثيراً قدامة بن جعفر في «نقد الشعر» والآمدي في «الموازنة بين الطائيين» وأبو هلال في «الصناعتين» وابن رشيق القيرواني في «العمدة» وغيرهم. «ومن أهم ما يميز الكتاب دقة ذوقه وصفائه في اختيار الأمثلة والشواهد، ويكفيه فضلاً أنه أول من صنف في البديع، ورسم فنونه، وكشف عن أجناسها وحدودها بالدلالات البينة والشواهد الناطقة بحيث أصبح إماماً لكل من صنف في البديع بعده، ونبراساً يهديهم الطريق».[92]

3.2. *أثر النقد الأدبي في نضج التطور البلاغي وازدهاره* (القرن الرابع حتى عبد القاهر الجرجاني).

نشطت في القرن الرابع حركة النقد الأدبي حيث اشتدت الخصومة النقدية بين مؤيدي بعض الشعراء ومعارضيهم، فخرجت دراسات نقدية على دعائم بيانية بلاغية، وقد ساعد على ذلك بعض الساسة والقضاة كالصاحب بن عباد والقاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني، فظهرت كتب النقد الأدبي المتخصص ككتاب «الموازنة بين الطائيين» لأبي القاسم بن بشر الآمدي(ت 370 هـ) و» الوساطة بين المتنبي وخصومه» للقاضي علي عبد العزيز الجرجاني (ت392 هـ) وقد ألفه ليكون وسطاً بين خصوم المتنبي

87 الجرجاني، دلائل الإعجاز، 315.

88 ابن المعتز، البديع، 152.

89 المصدر السابق، ص 73 – 74.

90 وهي الاستعارة والتجنيس والمطابقة ورد الأعجاز على ما تقدم والمذهب الكلامي.

91 ابن المعتز، البديع، 2

92 شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، 75 .

وأنصاره و» كتاب الصناعتين « لأبي هلال العسكري (ت395هـ)، و»العمدة في محاسن الشعر وآدابه» للإمام أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت 399/ 463هـ)، و»سر الفصاحة» لأبي محمد بن سنان الخفاجي (ت 466هـ).

فأما كتاب «الموازنة بين أبي تمام والبحتري» فهي موازنة بين مدرستين: من يميلون إلى الصنعة والمعاني الغامضة التي تستخرج بالغوص والفكرة، ولا تلوي على غير ذلك، وهو مذهب أبي تمام وأصحابه، ومن يفضلون سهل الكلام وقريبه، ويؤثرون صحة السبك وحسن العبارة وحلو اللفظ وكثرة الماء والرونق، وهو مذهب البحتري وأصحابه.[93] وتحدث الآمدي عن المجاز، ورأى أن الكلمة يجب أن تكون محتملة ولائقة للاستعمال المجازي ضمن الجملة، وإن لم تكن ذات فائدة في الجملة فلا وجه لاستعارتها، واهتم بالاستعارة، فذكر منها القبيحة بسبب الغلو، ثم بين الفرق بين الاستعارة الحسنة والقبيحة، فقال: «إنّ للاستعارة حداً تصلح فيه، فإذا جاوزته فسدت وقبحت».[94] ويقول: «وإنّما استعارت العرب المعنى لما ليس له إذا كان يقاربه أو يدانيه أو يشبهه في بعض أحواله، أو كان سبباً من أسبابه، فتكون اللفظة المستعارة حينئذ لائقة بالشيء الذي استعيرت له وملائمة لمعناه».[95] ووصل إلى نتيجة أن شعر أبي تمام زاخر بالاستعارات القبيحة والبعيدة عن الصواب؛ لأنها خرجت عن المألوف من استعارات العرب

وتحدث عن التعقيد ونشأة البديع وتطوره، وذكر الجناس وأن جيده ما كان عفو الخاطر بلا تعمد، وذكر الطباق الحسن وهو ما اشتمل على حلاوة اللفظ وصحة المعنى. وتبين له أن جناس أبي تمام كان ركيكاً.

وأما النقد الأدبي المرتكز على أسس بلاغية عند القاضي الجرجاني[96] في كتابه « الوساطة بين المتنبي وخصومه» فقد تحدث فيه عن الاستعارة والجناس والمطابقة والتقسيم وجمع الأوصاف والاستهلال والتخلص والخاتمة ضمن ألوان البديع،[97] وهو بهذا خلف ابنَ المعتز، ثم ذكر أمثلة للاستعارة الحسنة والسيئة، ثم جلّى الفرق الدقيق بين التشبيه البليغ والاستعارة، فعدّ محذوف الأداة من تشبيه شيء بشيء، وليس استعارة، [98] ثم عرف الاستعارة بقوله : الاستعارةُ ما اكتُفِي فيها بالاسم المستعار عن الأصل، ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها. وملاكُها تقريب الشَّبَه، ومناسبةُ المستعار له للمستعار منه، وامتزاجُ اللفظ بالمعنى؛ حتى لا يوجد بينهما منافرة، ولا يتبين في أحدهما إعراض عن الآخر.[99] وكأن الجرجاني بهذا التعريف للاستعارة حصرها فيما نُقِل عن أصل دلالته إلى غيره لعلاقة المشابهة ؛ ليخرج ما جعل من الاستعارة وهو من المجاز المرسل كما جعل المبرد وتبعه ابن الأثير ما في قوله تعالى :﴿إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ [يوسف :36] مجازاً من قبيل ما علاقته التشبيه.

ثم ذكر التجنيس بأنواعه الثلاثة الجناس المطلق أي الاشتقاق (أحضرت حضرموت موتاً)، والجناس المستوفى أي التام (سميته يحيى ليحيا)، والجناس الناقص[100] والتصحيف الذي ذكره من ألوان البديع لا يخرج

---

93 مع تقديم وتأخير ليكون من اللف والنشر المرتب ينظر الآمدي، الموازنة،4-5.

94 الآمدي، الموازنة 276/1.

95 الآمدي، الموازنة 266/1.

96 القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني الفقيه الشافعي؛ كان فقيهاً أديباً شاعراً تنظر ترجمته: طبقات الفقهاء، أبو إسحاق الشيرازي، تح: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت: 1970 الطبعة الأولى ،122 والأعلام 115/2.

97 الجرجاني، الوساطة 39 حتى 51 .

98 المصدر السابق، 45.

99 المصدر نفسه.

100 المصدر نفسه.

عن الجناس [101]ولم يذكر شيئاً عن فائدة الجناس بخلاف حديثه عن المطابقة، فبين فضلها وميزتها، وذكر شواهد على نوعيها، فالأول منها ما عرف بطباق الإيجاب، والنوع الثاني سماه الجرجاني المطابقة بالنفي يقصد طباق السلب،[102] ثم تعرض لصحة التقسيم ثم الاستهلال والتخلص والخاتمة.

ويظهر جلياً مدى تمثل الجرجاني بديع ابن المعتز في عدم تسمية التشبيه المحذوف الأداة استعارة، وتفريقِه بين المجاز المرسل والاستعارة. ولأول مرة تظهر على يديه هذه الفروق بين صور البيان.

وأما أبو هلال العسكري، [103] ففي كتابه « الصناعتين» - وهو كتاب نقدي مشهور أقيم على أسس بلاغية - أجده أثناء بحثه مسائل البلاغة - مقتفياً أثر الجاحظ والرماني، فكان المبحث الخامس عن الإطناب والإيجاز بنوعيه، وجعل بينهما المساواة كصنيع قدامة [104]والسادس خصه للسرقات الشعرية، وعقد الباب السابع للحديث عن التشبيه، ونجد فيه كلام الرماني وروحه في تقسيم التشبيه إلى أربعة أقسام، وأما الباب التاسع فجعله للبديع، ونهج فيه نهج ابن المعتز وقدامة، وزاد فيها حتى بلغت عنده خمسة وثلاثين نوعاً،[105] وذكر منها ما يمكن تسميته بالاستعارة التمثيلية، وسماها المماثلة، وأخرج السجع والازدواج من البديع في باب ثامن وأدخل فيه الفواصل القرآنية خلافاً للرماني والباقلاني، وذكر محاسنه وعيوبه، وبهذا يدخل الاستعارة في البديع، ويخرج منه السجع، وخص الباب العاشر للحديث عن حسن المبادئ ودقة الخروج.

وأما الأبواب الأربعة الأولى وهي بقية العشرة فجعلها للحديث عن معنى البلاغة، وتمييز الكلام الجيد من رديئه، وعن انتقاء الألفاظ، ومعرفة صنعة الكلام، وحسن النظم، وجودة الرصف، وهو فيها مقتف آثار الجاحظ مع غنى بملاحظات نقدية وتأصيلية لكثير من قواعد البلاغة، وفي خلاصة دراسة تطور البلاغة لدى أبي هلال يقول د. شوقي ضيف: «ومن المؤكد أن أبا هلال استقصى في كتابه صور البيان والبديع التي سجلها النقاد وأصحاب البلاغة حتى عصره، وهذا بدون ريب يرفع من عمله، وقد عُني فيه بإكثاره من الأمثلة كما عُني في أحوال كثيرة بتحليل أطراف منها تحليلاً يدل على رهافة حسه وصفاء ذوقه ونقائه».[106]

وأما كتاب العمدة للإمام أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني، فقد جعله مؤلفه موسوعة في الشعر ومحاسنه ونقده وأغراضه وفي البلاغة وفنونها المختلفة. وجعل لفنون البلاغة المختلفة (39) باباً من (107) أبواب، وجلّ عمله رحمه الله هو الجمع والتبويب، وإن كانت له من حين لآخر التفاتات وملاحظات دقيقة تنم عن سعة اطلاع وبصر بالشعر. فذكر فيما ذكر المجاز، الاستعارة، التمثيل، المثل السائر، التشبيه، الإشارة، التتبيع، التجنيس، الترديد، التصدير، المطابقة، المقابلة، التقسيم، التفسير، الاستطراد، التفريع، الالتفات، الاستثناء وهو توكيد المدح بما يشبه الذم، التتميم، المبالغة، الغلو، التشكيك، الحشو، الاستدعاء، التسهيم، التكرار، الترصيع، المذهب الكلامي، الاطّراد، التضمين والإجازة، الاتساع، الاشتراك، التورية، التغاير.[107] وطريقة عرض ابن رشيق لهذه الأنواع كطريقة أبي هلال يعرف بالنوع البديعي، ثم يعقب بالأمثلة والشواهد، فحين ذكر «نفي الشيء بإيجابه «عرفه، وجعله من محاسن الكلام؛ لأن ظاهره إيجاب وباطنه نفي، ثم ذكر

---

101 المصدر نفسه، 49.

102 المصدر نفسه، 51.

103 هو الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعد أبو هلال العسكري لغوي أديب شاعر مفسر ابن أخت أبي أحمد العسكري وتلميذه وتآليفه كثيرة منها: الأوائل (ديوان المعاني) و(الفروق في اللغة) و(جمهرة الأمثال)، و(الصناعتين) مختلف في وفاته قيل بعد 395هـ وقيل بعد 400 هـ ينظر: الأعلام 196/2.

104 قدامة بن جعفر، نقد الشعر، 84

105 ينظر: المصدر السابق، 24.

106 شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ 146.

107 ابن رشيق، العمدة 1: 250 – 2: 104.

بيت امرئ القيس:

على لاحب لا يهتدى بمناره إذا سافه العود النباطي جرجرا

فقوله: «لا يهتدى بمناره» لم يرد أن له مناراً لا يهتدى به، ولكن أراد أنه لا منار له فيهتدى بذلك المنار.[108]

ومثل ذلك فعل في النوع الآخر الذي أضافه وهو الاطّراد، فعرفه بقوله هو» أن تطرد أسماء آباء الممدوح من غير كلفة كقول الأعشى:

أقيس بن مسعود بن قيس بن خالد وأنت امرؤ ترجو شبابك وائل [109]

والجدير ذكره أن ابن رشيق أفرد أبواباً لمباحث البيان، وأخرى للمحسنات البديعية، وفي ذلك ما يوحي أن البيان شيء والبديعَ شيء آخر. وتحدث عن النظم وإن لم يسمه باسمه أثناء حديثه عن اللفظ والمعنى فشبه اللفظ بالجسم، والمعنى بالروح، وشبه ارتباط المعنى باللفظ بارتباط الروح بالجسم، يضعف بضعفه ويقوى بقوته [110]، وحديثه عن هذه العلاقة سبقه بها الجاحظ وابن قتيبة إلا أن ابن رشيق توسع في العلاقة بين اللفظ والمعنى وقلد من سبقه أيضاً بعدَّ الاستعارة من البديع مع أنها من أصول علم البيان.

ودراسته رحمه الله تتميز بسعتها وجمعه تحت كل باب من هذه الأبواب أقوال السابقين وعرضها عرضاً حسناً، وليس هذا الجهد في حد ذاته بقليل. ولكن من الحق أيضاً أنّ له إضافات جديدة في هذه الأبواب تدل على غزارة علمه، ودقّة فهمه، وسلامة ذوقه الأدبي.[111] والكتاب على الرغم من كل شيء قد وعى لنا مادة ضخمة من البلاغة والنقد معاً.

وأما البلاغة في كتاب سر الفصاحة لأبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي، فقد وضعه؛ لأنه لم يجد الكتب السابق كالبيان والتبيين والموازنة وغيرها مستوفية كل جوانب الفصاحة، فكان كتابه محاولة لوضع ألية لفهم الفصاحة وبيان شروطها ومقاييسها وللتفريق بين الفصاحة والبلاغة، فالفصاحة عنده مرتبطة بالظهور والبيان، و»البيان» قد يعني «الفصاحة» أيضاً. وسمى ابن سنان الكلام الفصيح بياناً؛ لإعرابه عما عُبّر به عنه وإظهاره له إظهاراً جليًّا. [112] وفرق بين الفصاحة والبلاغة، فقال: « الفرق بين الفصاحة والبلاغَة أن الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ والبلاغة لا تكون إلا وصفاً للألفاظ مع المعاني. لا يقال في كلمة واحدة لا تدل على معنى يفضل عن مثلها: بليغة، وإن قيل فيها: إنها فصيحة. وكل كلام بليغ فصيح، وليس كل فصيح بليغاً، كالذي يقع فيه الإسهاب في غير موضعه».[113] فالبلاغة -عنده - تشتمل على الفصاحة وزيادة لتعلق البلاغة مع الألفاظ بالمعاني. ثم بين فضل البلاغة فقال: وما أحسن ما قال إبراهيم بن محمد المعروف بالإمام: يكفى من حظ البلاغة أن لا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق ولا الناطق من سوء فهم السامع. وهذا كلام مختار في تفضيل البلاغة.[114] ثم وضع شروطاً ثمانية لفصاحة المفردة كـ: تباعد مخارج الحروف في الكلمة، وأن تكون غير متوعرة وحشية، وجاريةً على العرف العربي الصحيح غير شاذة/ وأن تكون معتدلة لا كثيرة حروف، وأن تكون مستعملة، وغيرها. ثم أسقط

---

108 ابن رشيق، العمدة 2/80.

109 المصدر السابق، 2:82 ومن الأنواع التي أوجدها الترديد، والتفريع، والاستدعاء، والإطراد، والاشتراك، والتغاير. والتورية والتمليط» وهو أن يتساجل شاعران فينشئ أحدهما شطراً أو بيتاً ويكمل الثاني الشطر أو البيت.

110 المصدر السابق، 1/124.

111 ينظر عتيق، علم البيان 18

112 ابن سنان، سر الفصاحة: (بيروت: دار الكتب العلمية، 1402–1982)،59.

113 المصدر السابق

114 المصدر السابق، 58–61 و234.

شروط المفردة على المنظومة مع أخواتها.[115] وهذه الشروط لم تَعْدُها كتب قواعد البلاغة، وأدرجوها ضمن فصاحة الكلمة والكلام، فمن شواهده: أن أبا تمام لما أنشد أحمد بن أبي داود قوله:

فالمجد لا يرضى بأن ترضى بأن يرضى المؤمل منك إلا بالرضى

قال له إسحاق بن إبراهيم الموصلي: لقد شققت على نفسك يا أبا تمام، والشعر أسهل من هذا[116].

وزاد شروطاً أخرى لفصاحتها في التركيب كالمناسبة بين الألفاظ وهي على ضربين: مناسبة بين اللفظين من طريق الصيغة، ومناسبة بينهما من طريق المعنى، ثم يسوق أمثلة من القرآن ونماذج راقية من الشعر والكتابة الملائمة لشرطه في الفصاحة كقول أبي عبادة:

فأحجم لما لم يجد فيك مطعماً وأقدم ما لم يجد عنك مهربا

فناسب بين أحجم وأقدم ومطمعاً ومهرباً وعنك وفيك.[117]

وجعل الاستعارة من وضع الألفاظ في موضعها، ورضي حدَّ الرماني لها «هي تعليق العبارة على غير ما وضعت في أصل اللغة على جهة النقل للإبانة» [118]ورضي كذلك تفريقه بين الاستعارة والتشبيه، ولكنه استدرك عليه أن التشبيه يكون بحروفه كالكاف وكأن وما يجرى مجراهما، وقد يكون بغير حرف على ظاهر المعنى، واستحسن ذلك لما فيه من الإيجاز. فقول الشاعر:

وأسبلت لؤلؤاً من نرجس فسقت ورداً وعضت على العناب بالبرد

تشبيه محض، وليس باستعارة، وإن لم يكن فيهما لفظ من ألفاظ التشبيه،[119] وحلل الشواهد تحليلاً بلاغياً ينم عن ذوق وفهم أدبي ماتع، وجعل الاستعارة حسنة مختارة وقبيحة مذمومة، وذكر أيضاً الكناية، وجعلها شرطاً من شروط البلاغة إذا استخدمت في الموضع الذي لا يحسن فيه التصريح،[120] ثم ذكر شواهد من القرآن والشعر على ذلك، وجعل من صفات البلاغة والفصاحة «التمثيل» وسماه العسكري المماثلة، ويشتمل على الاستعارة التمثيلية وبعض صور الكناية، **(121)** وجعل من المناسبة بين الألفاظ في الصيغ السجع والازدواج، وأنه لا يكون مقبولاً حتى طوعاً سهلاً وتابعاً للمعاني، وبالضد من ذلك حتى يكون متكلفاً يتبعه المعنى، فإن كان من القسم الأول، فهو المحمود الدال على الفصاحة وحسن البيان، وإن كان من الثاني، فهو مذموم مرفوض.[122] وهو بهذا رد على قول الرماني : السجع عيب. وأجاز إطلاق السجع على فواصل القرآني خلافاً للرماني،**(123)** وتحدث عن حسن الابتداء والاختتام ولزوم ما لا يلزم واللف والنشر المرتب ضمن التناسب اللفظي، وتحدث عن المجانس(الجناس) والمطابق (الطباق) وهو نوعان: محض وغير محض، وذكر من الأول بيت أبي الطيب:

أزورهم وسواد الليل يشفع لي وأنثني وبياض الصبح يغرى بي

فهذا البيت مع بعده من التكلف كل لفظة من ألفاظه مقابلة بلفظة هي لها من طريق المعنى بمنزلة الضد:

---

[115] المصدر السابق، 64 169-.

[116] المصدر السابق، 170-171

[117] سر الفصاحة: ص 97-98.

[118] المصدر السابق، 118 والرماني، النكت في إعجاز القرآن، 85.

[119] المصدر السابق ص118-119-246.

[120] المصدر السابق، 163.

[121] المصدر السابق، 158.

[122] المصدر السابق، 172

[123] المصدر السابق، 173-174.

فأزورهم وأنثني وسواد وبياض والليل والصبح ويشفع ويغرى ولي وبي . وأصحاب صناعة الشعر لا يجعلون الليل والصبح ضدين، بل يجعلون ضد الليل النهار؛ لأنهم يراعون في المضادة استعمال الألفاظ وأكثر ما يقال: الليل والنهار، ولا يقال: الليل والصبح، وبعضهم يقول في مثل هذا: مطابق محض ومطابق غير محض، فالليل والصبح عنده من بيت المتنبي طباق غير محض، ومن المطابق المحض قول دعبل بن علي:

لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى

ولو قال: (تبسم وبكى) لم يكن عندهم من المطابق المحض.[124] ثم ذكر طباق الإيجاب والسلب، وجعله قسماً مستقلاً، وعرف المساواة والتذييل (الإطناب) والإشارة (الإيجاز)، واستحسنهما بشرطهما، وإلا كانا مذمومين، وذكر أمثلة للإيجاز المحمود بنوعيه: القصر، وسماه(إيجاز النظم) وإيجاز الحذف، وذكر الإرداف والتتبيع، وهو نوع من (الكناية) **(125)** وذكر الاحتراز، وجاء ببيت طرفة:

فسقى ديارك غير مفسدها صوب الربيع وديمة تهمى

فلو لم يقل: غير مفسدها لظن به أنه يريد توالي المطر عليها وفي ذلك فساد للديار ومحو لرسومها، [126] وتحدث عن الاستدلال، وهو ما عرف قاعدياً بحسن التعليل.[127]

والملاحظ أن التطور البلاغي عند ابن سنان الخفاجي ولا سيما في جانب الفصاحة وشروطها وبيان الفرق بينها وبين البلاغة هو ما اعتمده البلاغيون بعده، بل ما عدَوا الشواهد التي ذكرها، وقد اعتمد كثيراً على نقد الشعر لقدامة، والموازنة للآمدي، والنكت للرماني، والوساطة للجرجاني، ناقلاً تارة، وناقداً أحياناً، ولا يخفى أن كتابه حاز مكانة مرموقة بين كتب البلاغة والنقد، وهذا يرجع إلى أسلوبه الأدبي العلمي المتزن المتوازن، ولكن يؤخذ عليه أنه أسهب في مسائل لا داعي لها.

الخاتمة:

هذه نظرات وتأملات في تاريخ نشأة البلاغة وتطورها من العصر الجاهلي حتى عبد القاهر الجرجاني، وهي تشير إلى ما لم يذكر. ويمكن القول: إن البلاغة قد خطت خطوات تآزرت فيما بينها من زمن إلى زمن، ومن سلف إلى خلَف، حتى وصلت إلى مرحلة النضج والاكتمال، وهي نتيجة منطقية لمراحل بدأت منذ بواكير النقد التذوقي غير المعلل في العصر الجاهلي وصدر الإسلام، إذ فُطر الشعراء على الأداء البليغ، أو هدتهم إليه سلائقهم، وألفته ألسنتهم وآذانهم، وكانت أحكامهم خالية من التعليل إلا في القليل، ولا تخرج عن كونها ذوقية غير معتمدة على أسس بلاغية ثابتة، وكل يحاول أن يبدع ويضيف شيئاً مع نقل بعضهم من بعض إلا أنها لم تتضح معالمها النهائية إلا على يدي عبد القاهر، فلا جمعت ألوان علم المعاني في تخصص معين، ولا تم الفصل بين علوم البلاغة الثلاثة حتى ما اندرج تحت مسمى البديع، إلا أن هناك بعض الألوان قد انتهي منها في بداية أمرها، ونسبت لأصحابها ككثير من ألوان البديع وأضرب الخبر والإيجاز بنوعيه.

وخلصت الدراسة إلى: أهمية البلاغة وأثرها في تنمية الذوق النقدي، وسلامة النقد الأدبي عند أسلافنا في العصر الجاهلي وما بعده. وأهمية تدريب المتعلمين على التذوق البلاغي. وأهمية إعمال الفكر في النصوص الأدبية، وقراءة التراث العربي من أمات الكتب والوقوف على تلك الإشارات التي كان الملهمة لفن البلاغة بنوعيها التذوقية والفلسفية. وهي لفتات بحاجة إلى دراسة عميقة، وأوصت الدراسة: بالتأكيد على تدريس البلاغة التذوقية ضمن منهج تعليمي تكاملي يشمل العلوم العربية والشرعية؛ لتسهم في فهم النصوص بطريقة

---

124 المصدر السابق، 201–202.

125 المصدر السابق ،207 حتى 234.

126 المصدر السابق، 274

127 المصدر السابق، 158

فنية شائقة لا تكلف فيها ولا غموض، ولا سيما القرآن الكريم وإعجازه وسمو بيانه وحديث رسول الله وإظهار محاسن بلاغته وفصاحته، وخصوصاً جوامع كلمه.

المصادر والمراجع

ابن الأثير، ضياء الدين. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: أحمد الحوفي وبدوي طبانة. القاهرة دار نهضة مصر.

ابن المعتز. عبد الله بن محمد. البديع. تح: إغناطيوس كراتشفوفسكي. بيروت: دار المسيرة،1982.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني. الإيمان، (القاهرة، مطبعة السعادة، 1320).

ابن جعفر، قدامة بن جعفر. نقد الشعر. تح: محمد عبد المنعم خُفاجي، بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني. فتح الباري شرح صحيح البخاري. بيروت: دار المعرفة، 1379هـ.

ابن رشيق، القيرواني. العمدة في محاسن الشعر وآدابه. تح: محمد محيي الدين عبد الحميد. بيروت: دار الجيل، 1981.

ابن سنان، عبد الله بن محمد الخفاجي. سر الفصاحة. بيروت: دار الكتب العلمية،1982.

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء، أبو الحسين. معجم مقاييس اللغة. تح: عبد السلام هارون. بيروت: دار الفكر، 1979.

ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري. الشعر والشعراء. القاهرة: دار الحديث، 1423هـ .

ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب. بيروت: دار صادر، 1414.

أبو عبيدة، معمر بن المثنى. مجاز القرآن. تح: محمد فؤاد سزكين. القاهرة: مطبعة السعادة والخانجي،1381هـ.

الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين. الأغاني. تح : سمير جابر. بيروت: دار الفكر، دون تاريخ.

البخاري، محمد بن إسماعيل. الجامع الصحيح. تح: مصطفى ديب البغا، بيروت: مطبعة ابن كثير، 1987.

الجاحظ، عمرو بن بحر. البيان والتبيين. بيروت: دار الهلال، 1423هـ.

الجاحظ، عمرو بن بحر. البيان والتبيين. تح: فوزي عطوي. بيروت: دار صعب، 1968.

الجاحظ، عمرو بن بحر.الحيوان. تح: عبد السلام هارون. القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، دون تاريخ.

الجاحظ، عمرو بن بحر أبو عثمان. المحاسن والأضداد. بيروت: دار الهلال، 1423.

الجرجاني. أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، ط: 3. جدة: دار المدني، 1413،.

حبنكة، عبد الرحمن حسن. البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها. دمشق: دار القلم، 1996.

الخطيب القزويني. محمد بن عبد الرحمن. الإيضاح في علوم البلاغة. شرح: محمد عبد المنعم خفاجي. بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1405هـ.

الخفاجي، ابن سنان، عبد الله بن محمد. سر الفصاحة. بيروت: دار الكتب العلمية، 1982.

الرماني، علي بن عيسى. النكت في إعجاز القرآن. تح: محمد خلف الله. القاهرة: دار المعارف ،1976.

سيبويه، عمرو بن عثمان أبو بشر. الكتاب، تح: عبد السلام هارون. القاهرة: الخانجي.

سيد نوفل. البلاغة العربية في دور نشأتها، القاهرة،1948.

الشافعي، محمد بن إدريس. الرسالة. تح: أحمد محمد شاكر. القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1939.

الشيرازي، أبو إسحاق إبراهيم بن علي، طبقات الفقهاء، تح :إحسان عباس، ط:1، بيروت، دار الرائد العربي، 1970.

ضيف، شوقي. البلاغة تطور وتاريخ. القاهرة: دار المعارف.
عتيق، عبد العزيز. علم البيان. بيروت: دار النهضة العربية،1982.
العسكري، أبو أحمد الحسن بن عبد الله. المصون في الأدب. تح: عبد السلام هارون. الكويت: 1984.
العسكري، أبو هلال، الصناعتين. تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. بيروت: المطبعة العصرية 1419هـ.
الفراء، يحيى بن زياد. معاني القرآن. تح: أحمد نجاتى وآخرون. القاهرة: دار المصرية، 1988م.
القاضي الجرجاني، علي بن عبد العزيز. الوساطة بين المتنبي وخصومه. تح: محمد أبو الفضل إبراهيم وغيره. القاهرة: عيسى البابي الحلبي. دون تاريخ.
القاضي عياض، عياض بن موسى اليحصبي. الشفا بتعريف حقوق المصطفى. بيروت: دار الفكر،1988.
المبارك، مازن. الموجز في البلاغة. دمشق: دار الفكر، دون تاريخ.
المبرد، محمد بن يزيد أبو العباس. الكامل في اللغة والأدب. بيروت، مؤسسة الرسالة، تح: محمد أحمد الدالي، ط:3، 1997.
المرزباني، محمد بن عمران أبو عبد الله، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، تح: محمد حسين شمس الدين، (بيروت: الكتب العلمية ط: 1، 1995).
مسلم، بن الحجاج. الجامع الصحيح. تح: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: إحياء التراث العربي، 1954.

KAYNAKÇA

Askerî, Ebû Hilâl el-Hasen b. Abdillâh. *es-Sinaatey*. thk. Ali Muhammed el-Bicevi ve Muhammed Ebu'l Fazl İbrahim, el-Mektebetü'l-Asriyye, Beyrut 1419.

Askerî, Ebu Ahmet el- Hasan b. Abdullah. *el-Mesun fi'l-Edep*. thk. Abdusselam Harun, Kuveyt 1984.

Atiik, Abdulaziz. *İlmu'l-Beyan*. Daru'n-Nahdati'l Arabiyye, Beyrut 1982.

Buhari, Muhammed b. İsmail. *el-Câmiu's-sahîh*. thk. Mustafa Dib el-Buga, Daru ibn Kesir, Beyrut 1987.

Câhiz, Amr b. Bahr, *el-Beyan ve't-Tebyin*. thk. Fevzi Atavi, Daru Saıb, Beyrût 1968.

Câhiz, Amr b. Bahr. *el-Beyan ve't-Tebyin*. Dâru'l-Hilal, Beyrût, 1423.

Cahiz, Amr b. Bahr. *el-Hayavan.* thk. Abdusselam Harun, Matba'at Mustafa el-Babi, Kahire 1381.

Cahiz, Amr b. Bahr. *Kitâbü'l-Meḥâsin ve'l-aždâd*. Dâru'l-Hilal, Beyrût 1423.

Curcani, Ebu Bekir Abdulkahir b. Abdurrahman. *Delâilü'l-İ'câz*. 3. Baskı, thk. Mahmud Muhammed Şakir. Daru'l-Medeni, Cudde 1413.

Dayf, Şevkī. *el-Belâġa Teṭavvur ve târîḫ*, Daru'l Maarif, Kahire.

Ebû Ubeyde, Ma'mer b. Müsennâ. *Mecâzü'l-Kur'ân*. thk. M. Fuat Sezgin. Matba'atu's-Saade ve'l-Hancı, Kahire.

Ferrâ, Yahyâ b. Ziyâd, *Meʿâni'l-Ḳurʾân*. thk. Ahmed Yusuf Necati vd., Daru'l Mısrıyye, Kahire 1988.

Hebenneka, Abdurrahman Hasan. *el-Belagatu'l Arabiyye*. Daru'l Kalem, Dımaşk 1996.

İbn Fâris, Ahmed b. Faris b. Zekeriyye Ebu'l-Hüseyn. *Mu'cemu mekâyisi'l-luğa*. thk. Abdusselâm Hârûn. Dâru'l-Fikr, Beyrût 1979.

İbn Hacer, Ahmed b. Ali el-Askalânî. *Fethu'l-Bârî*. Daru'l-Marife, Beyrut 1379.

İbn Manzûr, Muhammed b. Mukerrem. *Lisânu'l-ʿarab*. Dâr Sâdır, Beyrût 1414.

İbn Reşîḳ, el-Kayrevânî. *el-ʿUmde fî meḥâsini'ş-şiʿr ve âdâbih ve naḳdih*. thk. Muhammed Muhyiddin Abdulhamih, Daru'l-Cil, Beyrut 1981.

İbn Sinan, Abdullah b. Muhammed el-Hufaci. *Sirru'l-Fasaha*. Daru'l Kutübi'l İlmiyye, Beyrut 1982.

İbn Teymiyye, Ahmed b. Abdulhalim el-Harrânî. *el-Îmân*. Matbaʻatu's-Saʻâde, Kahire 1320.

İbn Kuteybe, Abdullāh b. Müslim ed-Dîneverî. *eş-Şiʿr veʾş-şuʿarâ*. Daru'l Hadis, Kahire 1423.

İbnü'l-Esîr, Ziyâeddin b. Muhammed. *el-Meşelü's-sâʾir fî edebi'l-kâtib veʾş-şâʿir*. thk. Ahmed el-Hufi ve Bedevi Tabana Kahire, Daru Nahdati, Mısır.

İbnü'l-Muʻtez, Ebü'l-Abbâs Abdullāh b. Muhammed el-Muʻtezz. *el-Bedî*. thk. Ignaty Yulianovich Krachkovsky. Daru'l Mesire, Beyrut 1982.

Isfahani, Ebu'l Ferec. *el-Eġānî*. thk. Semir Cabir, Dâru'l-Fikr, Beyrût.

Kādî, Alî b. Abdilazîz el-Cürcânî. *el-Vesâṭa beyne'l-Mütenebbî ve ḫusûmih*. thk. Muhammed Ebu'l-Fazl İbrahim vd., Matba'atu İsa'l-Babi'l-Halebi, Kahire.

Kādî, İyâz b. Mûsâ el-Yahsubî. *eş-Şifâ Bi-Taʿrîfi Huḳūḳi'l-Muṣṭafâ*. Dâru'l-Fikr, Beyrût 1988.

Kazvînî, el-Hatîb Muhammed b. Abdirrahmân. *el-Îżâḥ fi Ulumi'l-Belaga*. thk. Muhammed Abdulmunim Hufaci. Daru'l-Kitabi'l-Lubnani, Beyrut 1405.

Kudâme b. Caʻfer. *Naḳdü'ş-şiir*. thk. Muhammed Abdulmunim Hufaci, Daru'l Kutübi'l İlmiyye, Beyrut.

Mirzebani, Ebu Abdullah Muhammed b. Umran. *el-Muveşşeh fi Maahizi'l Ulema'i ala'ş Şuara*. thk. Muhammed Hüseyin Şemsuddin. 1.baskı, Daru'l-Kutübi'l-İlmiyye, Beyrut 1995.

Mubarek, Mazin. *el-Mucez fi'l-belaga*, Dımaşk, Dâru'l-Fikr.

Müberred, Muhammed b. Yezîd Ebü'l-Abbâs. 3.baskı, thk. Muhammed Ahmed ed-Dali, Müessesetu'r-Risale, Beyrut 1997.

Muslim, B. el-Haccac. *el-Camiu'l-Sahih*. thk. Muhammed Fuad Abdulbaki, Daru İhyai't-Turasi'l Arabi, Beyrut 1954.

Nevfel, Seyyid. *el-Belagatu'l Arabiyye fi Duuri Neşatiha*. Kahir 1948.

Rummânî, Alî b. Îsâ b. Alî. *en-Nüket fî I'câzi'l-Ḳur'ân.* thk. Muhammed Halefullah, Daru'l Maarif, Kahire 1976.

Şafii, Muhammed b. İdris. *er-Risale*. thk. Ahmed Muhammed Şakir, Matba'atu Mustafa el-Babi, Kahire 1939.

Sîbeveyhi, Ebû Bişr Amr b. Osmân. *el-Kitap*. thk. Abdusselam Harun, el-Hancı, Kahire 1988.

Şîrâzî, Ebû İshâk Cemâlüddîn İbrâhîm b. Alî. *Ṭabaḳātü'l-Fuḳaha.* 1. baskı, thk. İhsan Abbas, Daru'r-Raidi'l Arabi, Beyrut 1970.